كربلاء

أرض الطهر والعلياء

المقدمة

عقب التحول الكبير الذي شهده العراق في عام ألفين وثلاثة من طي صفحة الدكتاتورية، وثقافة القطب الواحد، إلى مزاولة العيش في خضم المتعدد والتساؤلات المستجدة ، تفجر النبض الشعبي على الساحة العراقية متعثرا مرة، ومستويا على سوقه مرة أخرى.

لقد مثل قطار الانتخابات، علامة التحول الفارقة التي تشي بالقادم الديمقراطي الجديد ألا وهو العراق. حيث تمت مزاولة الانتخابات بوصفها فعلا ديمقراطيا بناء، يتمخض عن خلاصة (كارزمية)، تأخذ بيد الشعب إلى منطقة النور وبر الأمان.

هذه الخلاصة، تمارس تمظهراتها على أكثر من صعيد حسب الشكل الهرمي للدولة العراقية الحديثة، حيث انتقل العراق إلى ما بعد الدولة، بعد أن كان يعيش مرحلة ماقبلية الدولة، حيث يتوزع فيها الحطام على أكثر من جهة.

وليس بخاف على أحد حدث انتخابات مجالس المحافظات الأخيرة، وما أفرزته من خرائط سياسية ستعمل على رسم تشكلات المشهد العراقي المقبل، ولعل أهم ما يلاحظ فيها أنها مورست في كل محافظة من محافظات العراق، آخذة بنظر الاعتبار خصوصية كل محافظة، وما تحمل في جغرافيتها السياسية، والخدمية، والاقتصادية من راهن وراهنات.

حيث كل محافظة شابهت أختها في الإطار، واختلفت عنها في الصيغة، ولاننسى أن هذا التباين يعكس بشكل جلي تباينات خفية، وهي إما حزبية، أو ظرفية، والتي مثلت الأديم الذي تحرك عليه الناخب العراقي، ذلك الناخب البسيط الذي غيرت ورقة اقتراعه الخاصة، مزاج العقل السياسي المحرك لجهاز الدولة الكبير في هذا البلد.

وما يلاحظ أيضا أن هذه الانتخابات تختلف عن سابقاتها من عدة أمور:

الأول: ان الانتخابات الأولى كان يحركها الهاجس الطائفي، فبعد أن فرضت الفوضى الخلاقة وجودها على الساحة العراقية، بات كل عراقي يبحث عن جماعة تحميه من الذئب المفترض، والذي يتربص بالغنم القاصية كما أنها (أي: الأولى)، لم يحدث فيها تزوير بصورة تسرق الأضواء، وتهيمن على مسارها.

والثاني: ان المواطن العراقي ربما قد أشبع إحساسه الطائفي الإيجابي، والذي كان يودي به سابقا إلى حبل المشنقة، فبات في الانتخابات اللاحقة يتمعن في البرنامج الانتخابي للأحزاب، ويدخر صوته لمن يأتي له بالخدمات الضرورية الملحة في الحياة اليومية، ضاربا عرض الحائط ما يتحدث به لسان الاحزاب، بخصوص ثقافة الرمز، والنواح على أمجاد الماضي، والذي يجعل المتكلمين به يمشون للأمام وتحديقتهم أبدا نحو الوراء.

الثالث: ان انتخابات مجالس المحافظات، برز فيها التزوير كوسيلة تتوسلها القوائم الخاسرة لإعادة إنتاج نفسها من جديد.

كل هذه الأسباب، وغيرها وقفت وراءها إرادة الناخب العراقي عارية في الميدان، تحركها الرغبة والأمل في خدمات أفضل، ومستوى اقتصادي أمثل، كأقصى غاية في المنى.

ونحن إذ نقف أمام هذه التساؤلات، محاطين بتحديات مختلفة وكثيرة، تحدونا الرغبة في تحقيق المواطنة الحقة قولا وفعلا، كي لانتحدث مرة أخرى عن عنق زجاجة جديد علينا الخروج منه ولو بجلدنا، بل علينا أن نثري السعي من أجل عراق متعدد الأطياف، وموحد الرؤى، لايستهدف سوى البناء والاعمار، وإبداء الوفاء للدماء التي سالت على هذه الأرض الطاهرة، من أجل الانسان.

الدكتور إبراهيم الجعفري كعادته، وهو ينطلق من وطنيته المبدئية في النظر الى كل الاستحقاقات الديموقراطية، زار محافظات عراقية عدة، اثناء حملة انتخابات مجالس المحافظات، مذكرا اهلها بان الاختيار لعضوية مجالس المحافظات مسؤولية وطنية، وانهم اهل لهذه المسؤولية، داعيا اياهم الى النظر بتبصر لما سبق، وتحديد الاتجاهات اللاحقة، لما يحقق خدمة العراق اجمع.

إن مؤسسة الكتاب الثقافية إذ تقدم اصدارها هذا والمسمى (رحلة الكلمة)، فهي راغبة بان يطلع العراقيون جميعا على نوعية متميزة من الخطابات، والتي تنظر الى العراق ككل قوي، يتكامل بعضه مع البعض الاخر، حيث يمتعنا الجعفري بلغته المتميزة، وباسلوبه الجميل في الطرح.

إن الخطاب في المرحلة الحاضرة يملأ لنا فراغاً كبيراً، ولطالما كنا نعاني من أزمة الخطاب، وحين يلتحم الخطاب بالخطيب (فكرة التطبيق والتجسيد)، يكون الخطاب قد انطلق من عمق الخطيب المعطي، لينفذ إلى عمق المتلقي.

.....

لا يكفي أن نردّد شعار زينب، ما لم نعِش الأخلاق الزينبية، والفكر الزينبي، ونتأسَّ بالسلوك الزينبي، زينب العابدة، العالمة، المناضلة، الشجاعة، والمضحية التي أبت إلا أن تنطلق من عمق القرآن إلى عمق الواقع، لم تعِش القرآن ردود فعل، بل عاشت القرآن فعلاً ومبادرة.

.....

المرأة ليست فقط نصف المجتمع، هي نصف المجتمع سكانياً وديمغرافياً، وهي النصف الأكثر فاعلية في التأثير على عنصر الرجل منذ سنواته الأولى والتي تتشكل فيها شخصيته، لذلك على المرأة أن تضع في حسابها أنها إذ تتحرك في إطار البيت، هي في الحقيقة إنما تحلق في أفق المجتمع.

.....

لا ينبغي أن نحارب الفساد من خلال أجهزة الحكومة، علاجات عرضية، فالشرطة والجيش يداهمان المشكوك بهم حتى يأخذوهم إلى المحكمة، بينما الأم يجب أن تفكر بكيفية تحويل البيت إلى معمل للقيم وللمبادئ، وإنجاب مجتمع متحاب من خلال زرع الحب، وبذر الود في نفوس أبنائها وبناتها.

كلمة دولة الدكتور ابراهيم الجعفري في الملتقى النسوي الكربلائي بتاريخ 2009/1/5

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة، وأتم السلام على أشرف الخلق أجمعين، وسيد الأنبياء والمرسلين أبي القاسم محمد وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين، وجميع عباد الله الصالحين.

السلام عليكم جميعاً ورحمة الله وبركاته..

قال الله (تبارك وتعالى)، في محكم كتابه العزيز:

((وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ)).

عظم الله أجورنا وأجوركم بهذا المصاب العظيم، استشهاد سيد الشهداء، وسيد شباب أهل الجنة، وريحانة رسول الله أبي عبد الله الحسين.. تبقى العلاقة بين الفكرة وحاملها علاقة عضوية، لا يمكن التفكيك بينها، لذلك اختلفت الأنظمة الاجتماعية في تعريف القدوة، هل أنه في مجال التطبيق فقط، أم في مجال التنظير، أم أن القدوة في مجال التنظير تختلف عن القدوة في مجال التطبيق؟

فوقعوا في اشتباه، أن رجل النظرية وأنموذج النظرية، غير أنموذج التطبيق، لكنّ القرآن الكريم يؤكد هذه العلاقة العضوية:

((لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ)).

لا يمكن تفكيك أجزاء السُنة الشريفة قولاً، أو فعلاً، أو تقريراً؛ ولأن الحديث وسط مجموعة من ذوات المواهب، والمهتمات بالخطاب، فإني أحسب أن الخطاب في المرحلة الحاضرة يملأ لنا فراغاً كبيراً، ولطالما كنا نعاني من أزمة الخطاب، وحين يلتحم الخطاب بالخطيب (فكرة التطبيق والتجسيد)، يكون الخطاب قد انطلق من عمق الخطيب المعطي، لينفذ إلى عمق المتلقي؛ لأننا نعيش وإياكم أيام عاشوراء، نوشك أن ندخل اليوم العاشر من محرم الحرام، لتقف أمامنا زينب (عليها السلام)، رائدة، وقدوة وخطيبة تدوّي بصوتها في ساحة كربلاء؛ فتربط تاريخنا بحاضرنا، وتأبى إلا أن تملأ وجودنا في كل مجال من المجالات، ومادام الوسط وسط خطيبات (أي: الحاضرات)، ومادام أحد أبعاد زينب (عليها أفضل الصلاة والسلام) أنها كانت خطيبة مفوّهة، صدحت بثورة الإمام الحسين، وواكبت أبا الأحرار خطوة بخطوة، وقطعت معه شوطاً بعد آخر، فلابد لنا من أن نقف عند هذا الجانب وقفة موضوعية، نستلّ منها عدة مفاهيم.

من هو الخطيب، هل هو من يجيد فن الخطابة لفظاً وأداءً، ويحسّن صوته، أم أن الخطيب هو من تملأ الفكرة عقله، ويملأ الإيمان قلبه، ويمزج مزجاً عضوياً رائعاً بين الفكرة من عمق عقله مع الإحساس؛ ليتحول الخطيب المفوّه بعد ذلك في اللفظ إلى مُربٍّ سرعان ما تأخذ كلماته طريقها إلى قلوب المستمعين، فعندما نقف عند أي خطيب من الخطباء لابد من أن نميز بين الخطيب المحترف للخطابة لمجرد الخطابة، وبين الخطيب الذي يعكس ما يحمل في داخله من مركبات عميقة، ومتجذرة في عقله وقلبه.

زينب (عليها السلام) خطيبة، وليس مثلها خطيبة، لكنها خطيبة من الموقع الذي تفاعلت من أعمق أعماقها مع مفاهيم الرسالة والمبادئ، وإذا حاولنا أن نقترب قليلاً من علياء زينب لنرى كيف كانت زينب ببنيتها الروحية الضاربة في العمق، وكيف كانت عالمة محدثة، ثم كيف كانت بطلة في الطف، ثم كانت صوتاً هادراً على مستوى الإعلام والخطابة.

زينب (عليها السلام) في كربلاء لا يختلف أحد من المؤرخين على أنها صلت صلاة الليل في العاشر من محرم، مساء ليلة الحادي عشر، ربما اختلف البعض هل أنها أدت صلاة الليل عن قيام أم عن جلوس، وهذا يعكس لنا حقيقتين: الحقيقة الأولى هي أن هذا المصاب العظيم الجلل، لم ولن يقطع على زينب (عليها السلام) هذا الارتباط الرائع في أشد الظروف وأحلكها بالله (تبارك وتعالى)، كما يعكس أيضاً الشجاعة المنقطة النظير لامرأة ترى بأم عينيها أولادها وإخوانها، وترى أصحاب الحسين (عليهم السلام) وقد تناثرت جثثهم الطاهرة على مسرح كربلاء، وهي تدوّي بصوتها :

(اللهم تقبل منا هذا القربان).

ثم إذا انتقلنا من عمق الإيمان الذي تجسّد في شخصية زينب، إلى العلم، كان يقول (عبد الله بن العباس): حدثتنا عقيلة الطالبيين، كان لها مجلس خاص تتحدث فيه في أوساط المتعلمات، والمتلقيات، ورائدات العلم، وطالبات المعرفة فيأخذن من فيض علمها، وأخلاقها ومواهبها، وإذا امتددنا مع زينب (عليها السلام) ووقفتها في مجلس يزيد، وسبرها غور الحقائق، واستنطاقها السنن، واستشرافها المستقبل، وصوتها الهادر في مجلس يزيد.

عادة في مثل هذه المجالس، يكون الذي خسر على مستوى البدن، خسر أكثر على مستوى المعنويات، لكن زينب (عليها السلام)، تعطينا درساً رائعاً عن أنها تتحدث منتصرة على مستوى المبادئ، فتقول:

(يا يزيد... كِد كيدك، واسعَ سعيك، وناصب جهدك، فو الله لن تمحو ذكرنا، ولا تميت وحينا).

وتقول له وهي الواثقة، المستوعبة لسنن الله التي بُثت في الوجود:

(إن أيامك إلا عدد).

فعلاً لم يبقَ إلا ثلاث سنوات، هذه الشجاعة الحسينية، التي بثها أبوعبد الله (عليه السلام)، في شخصية زينب، كما بثها في نفسية أولاده، وأصحابه، فتجسدت بشكل رائع بهذه الشخصية.

إذن الخطيب له مقومات، زينب كانت قمة فيما تقول، وفيما تفكر، وفيما تعبد وكانت قمة في ما تجسد، وما أحوجنا اليوم إلى الخطيبة التي تتحدث بلغة الحال، قبل ان تتحدث بلغة الكلام؛ لأن المتلقي ينظر إلى شخصية الخطيب أكثر مما يسمع الخطيب، ويحكم على المسموع من خلال المرئي.

الناس ينظرون إلى سلوكنا، وتصرفاتنا أكثر مما يسمعون أقوالنا وجملنا بالحديث، زينب (عليها السلام) كانت تنبض معرفة، شخصية ليست كبقية الشخصيات، ضحّت بكل شيء، تركت بيتها، ورافقت الحسين في أحلك الظروف، وصدحت بصوتها بكل رباطة جأش، لتكون عنواناً للشجاعة.

أجمل شيء في الخطيب أن يتحدث بما يؤمن به، ويتفاعل مع ما يؤمن به، ويضحّي من أجل ما يؤمن به، كثر أولئك الذين يخطبون، حتى أنكم لا تكادون تتصورون ثورة من الثورات إلا وفيها خطيب، (ميرابو) كان خطيب الثورة الفرنسية، و(لنكولن)، كان خطيب أمريكا لتوحيد الشمال والجنوب الأمريكي، و(غاندي) خطيب الأمة الهندية، والإمام الخميني (رحمه الله عليه)، كان خطيب الثورة الإسلامية.

هكذا فإن الكثير من الخطباء كانوا قد أوصلوا ما يحملون من وحي الواقع، عبّروا عن أممهم، واستطاعوا أن يحملوا أفكاراً، ويتحدثوا عن أهداف الأمة.. إن أروع من كل هؤلاء هم الذين يضعون أرواحهم على أكفهم ويموتون من أجل أهدافهم، لذلك، الخطابة ليست تكسّباً، وليست غنيمة، نحترم الذين يريدون أن يتكسبوا بالخطابة، لكننا نريد أن نخرج من حيز العقل الذي يتلقى اللفظ، الى قوة المفهوم لندخل الى القلب، لنتلقى قوة السلوك، فنضع قلوبنا تماماً، بشكل منفتح ليستلم من المربي.

المربي عندما يخطب، ويتحدث يستطيع أن يوصل أعمق المفاهيم بشكل رائع عند نفوس المتلقين، من هنا يأخذ الخطاب كجسر يربط بين اللفظ والمعنى، فيأخذ نمطيات مختلفة، من وسط إلى وسط آخر، ليس هذا بدعاً من القول، فالخطاب مع شريحة اجتماعية، قد يختلف عن الخطاب مع شريحة اجتماعية ثانية، ليس لتناقض في شخصية الخطيب إنما طبيعة الخطاب الذي يراعي في ثوابته ثوابت المبادئ، ويراعي في متغيراته متغيرات الواقع والمتلقي.

الخطاب ثابت في طرفه المبدئي، ومتغير بتغير الموضوعات والظروف التي تحيط بالمتلقي.. القرآن الكريم هو القرآن الكريم، لماذا هناك قرآن مكي، وقرآن مدني، إنه خطاب الله الذي نزل على قلب محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، بواسطة جبرائيل، وإن كان تعبير المكي، والمدني ليس تعبيراً شرعياً، وتعبيراً إسلامياً، وإنما تعبير مسلمين وتعبير متشرعة، لكنه تعبير عن حقيقة.

الآيات القرآنية الكريمة ذات النسق، والنمطية المكية، تختلف عن الآيات القرآنية الكريمة ذات النسق والنمطية المدنية، لماذا؟ لأن المتلقي المكي يختلف في اهتماماته، وفهمه عن المتلقي المدني، فأخذ الخطاب المكي ببنيوية تختلف عن بنيوية الخطاب المدني، وهكذا يكون الخطيب الناجح، فيكون أول ما يبتدئ به هو صدق كلامه، وإيمانه العظيم في داخله، قبل أن يحرر المفهوم، يسأل نفسه دائماً: هل أنا جاد في تطبيق هذه الأفكار والمفاهيم، هل أتفاعل معها في داخلي؟

إذا أراد الخطيب أن يعرف مدى نفوذ كلمته في المتلقي، عليه أن يسأل نفسه عن مدى نفوذ الإيمان في داخله، وإذا أراد أن يعرف كيف سيدخل كلامه في قلب الناس، عليه أن يسأل نفسه من أي عمق خرجت كلماته، كثير من الكلمات القوية، تسقط ضحية السلوك المتناقض :

((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ)).

الناس ينظرون إلى أفعالنا وإلى سلوكنا، وليس الناس فقط، بل اقرب الناس في حياتنا، أهلنا، أزواجنا، بناتنا لذلك كان حكيماً من عبّر: (إن الولد على سر أبيه).

لذلك، الانسان وهو يدخل، ويلج في عالم الخطاب، عليه أن يسأل نفسه، ويعقد العزم على ان يقول الكلام الذي يؤمن به، ويطبقه، ويسعى بصدق لتطبيقه؛ لأن شعبنا اليوم بأمسّ الحاجة الى الخطباء، والخطيبات الذين يحملون الخطاب بقلوبهم، قبل أن يحملوه بعقولهم، يتفاعلون هم مع مضامين الخطاب.. ينوعون الخطاب بحسب تنوع المتلقي.. يمسّون واقع الناس مسّاً حقيقياً، بحيث لا يكون الخطاب مفصولاً عن الواقع، إنما يجب أن يكون الخطاب ملتصقاً بالواقع بحيث يشعر المتلقي به، ويدخل في صميم حياته.

الخطيب، لا يحاول ترفيّاً أن يجول في زوايا ذاكرته، ماذا أعرف من مفاهيم لأتحدّث بها للناس، وما الذي يشكّل تحدياً في حياة الناس، فيستلّ من رسالته أعمق المفاهيم التي تتكفل بإعادة بنية الناس، الناس يحتاجون إلى مُعين، مع وجود مشاكل في الحياة الزوجية، ويريدون خطاباً يتكفل بإعادة بناء العلاقة الزوجية بالشكل الذي

يُبعد كل أنواع الشقاء، ويُعيد السعادة في العلاقة الزوجية، يريدون خطاباً يتكفل ببناء الأسرة، ويصوغ علاقة الأب مع أبنائه، وبناته في وقت تتأزم فيه في بعض الأحيان العلاقة بين الشبان، والشابات مع آبائهم وأمهاتهم.

لسنا في أزمة مفاهيم، لكننا في أزمة خطباء، حيث نبحث عن الخطيب الذي يطبّق.. الخطيب الذي لا يجزّئ الحياة، ويبضع حياة الناس، لا يمكن أن أكون خطيباً أتحدث معهم في أجواء الفقه، الوضوء، الغسل، الصلاة، الصوم، الحج، والعمرة، وبقية مفردات العبادات أو المعاملات المختلفة كالتجارة، والبيع، والعقارات، والسوق، والزواج، وما شابه ذلك.

لا يمكن ان أتعامل بشكل مجتزئ، لابد من أن أختار.. لابد للخطيب الناجح من أن يختار المفاهيم التي يشعر بأن الناس بحاجة اليها، واولوياته في اختيار الاحاديث مستلة من اولويات المجتمع المتلقي.. لا ينبغي أن نتحدث مع الناس بما نحب، وإنما نتحدث مع الناس بما يحبون.. لا ينبغي ان ننظر الى جدران القاعة عندما نتحدث، ونحن نمارس عملية التغيير.. يجب ان ننظر الى انسان القاعة، ربما تتشابه الشعارات بالقاعات المختلفة في كل بقاع العالم، وهذه أمر لا ضير فيه، على العكس هذا أمر طبيعي، لكن إنسان القاعة هنا، هو غير انسان القاعة الذي يعيش في لندن، او استوكهولم، او باريس، او سدني، ومختلف عواصم العالم التي يتواجد فيها المسلمون، حيث يسأل الخطيب نفسه: من هذا الذي أتحدث معه؟

من هنا، يصمّم الخطاب على أساس أنه الجسر الرابط بين المعطي والمتلقي، ماذا يحتاج هذا المتلقي عندما جاء أمامي، وفتح عقله كي يستمع إلى صوتي، ويطلع على أفكاري، وفتح قلبه كي يأخذ من القيم، والمبادئ والمفاهيم، ألقى الناس الحجة على الذين يحملون قيمة الخطاب، بقي على الخطباء والخطيبات أن يأخذوا بهؤلاء من حيث هم، وما ينتاب واقعهم من مشاكل، الى حيث ينبغي أن يكونوا مع حياة كلها حلول.

لذلك يبقى الخطيب، والمُبلّغ في الأمم الحية عنصراً أساسياً، ومهماً، لأنه يمارس عملاً لا يستثني حقلاً من الحقول إلا وولج فيه، ودخل فيه، زينب (عليها السلام) لو لم تكن ذلك الصوت الزينبي الذي هدر في آفاق كربلاء، لضاعت منا هذه الثورة المعطاء، وما اختزنت من كنوز معرفية، وفكرية، وسياسية ظلت تتجاوز حدود الزمن منذ عام الواقعة إلى عام الذكريات.

الآن نعيش ذكرى الطف، الذي حفظ لنا هذه الأسرار هو زينب (عليها السلام)، زينب العالمة، المحدثة، البطلة، الخطيبة المشاركة في كل مفردة من المفردات،

تعاملت زينب بهذه القوة، وهذا سبق يسجله الإسلام لمكانة المرأة، عندما نُسأل ما هي مكانة المرأة في الاسلام؟ ربما نتحدث نظرياً، لكننا نحتاج الى مصاديق، تقف زينب شامخة تطاول عنان السماء بالتاريخ، زينب البطلة العملية التي دخلت، وخطبت، وخاضت غمار معركة الطف، وتصدت بكل جدارة، هذا هو الموقف العملي، عندئذ يجب أن نعقد مقارنة بين زينب القدوة التي ارتقت إلى مستوى العصمة، وبين بناتنا، وأخواتنا اللاتي أردن أن يكنّ زينبيات على مستوى التأسّي.

لا يكفي أن نردّد شعار زينب، ما لم نعِش الأخلاق الزينبية، والفكر الزينبي، ونتأسَّ بالسلوك الزينبي، زينب العابدة، العالمة، المناضلة، الشجاعة، والمضحية التي أبت إلا أن تنطلق من عمق القرآن إلى عمق الواقع، لم تعِش القرآن ردود فعل، بل عاشت القرآن فعلاً ومبادرة، وأدركت سنن الله في القرآن الكريم، لذلك تحدثت مع أكبر طاغية، بأقوى درجات التحدي:

(كِد كيدك واسعَ سعيك).

هذه هي زينب، وزينب الواقعة، تحولت على مدى التأريخ الى حالة زينبية، تجسدت هنا وهناك في هذه الأمة، وفي تلك الأمة بدرجات متفاوتة، المرأة اليوم في العراق بالذات وتأسياً بموقف زينب (عليها السلام)، واجهت في مرحلة المعارضة.. سُجنت.. تلوت عليها سياط السلطة.. استشهدت.. هاجرت وهي تضع أمامها زينب، وبذلك أمدتها زينب بثروة معنوية طائلة، في مرحلة الصمود والصبر، وكذلك من موقع التأسّي، مثلما دخلت زينب (عليها السلام) في مجال السياسة، وتحدّت.. اليوم بناتنا وأخواتنا أيضاً دخلن عالم السياسة.

نحن نحتاج المرأة في مجال السياسة أيام الحكم، كما احتجنا المرأة في مجال السياسة أيام المعارضة، مثلما المرأة تخدم اليوم في مؤسساتنا التربوية، والخدمية، والإدارية بمختلف الاختصاصات، المرأة كذلك تدخل في أتون العملية السياسية لترسم، وتصنع عراقاً جديداً.

نحن نفخر لأن المرأة اليوم دخلت في البرلمان، وفي مجالس المحافظات مثلما دخلت في الدوائر ممرضة في المستشفى، ومعلمة في المدرسة، وعاملة في المعمل، وخياطة في مكائن الخياطة، وفي كل مجال من المجالات، وكانت موفّقة في إحداث التوازن بين الداخل المنزلي، والخارج المنزلي، ليست مشكلة أن تكون المرأة مثقفة على العكس من ذلك المرأة المثقفة تعكس ثقافتها، ومفاهيمها، ونظرياتها على بيتها، ومن دون شك أن الزوجة المثقفة تحقق فارقاً في التعامل على التي تفتقر إلى الثقافة،

والأم المثقفة من دون شك توظّف الكثير من مفاهيمها، وقيمها، وثقافتها لتربية أبنائها وبناتها.

ليست مشكلتنا مع الثقافة كما حصل في الغرب، مشكلتنا مع الجهل، وإذا كانت دول العالم بعضها يفاخر بعضه الآخر، بأن المرأة بدأت تدخل في بعض أروقة البرلمانات، وتتسنم بعض الحقائب الوزارية، لكنكم يجب أن تعرفوا أن هذه الرحلة جاءت متأخرة جداً، فهذا حصل كله بالقرن العشرين!!.

على سبيل المثال، في أمريكا سُمِح للمرأة دستورياً عام 1919 أن تملك حق التصويت، وفي بريطانيا عام 1945 كان ذلك لأول مرة، وفي سويسرا عام 1977، هذه هي الدول الديمقراطية في العالم.

أما عند المسلمين فالمرأة قبل 1400 سنة، كانت تمارس عملاً سياسياً:

((إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ)).

كانت المرأة تمارس عملاً سياسياً رائعاً، فتمارس دور البيعة والمبايعة مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، حيث الرسول هو القاضي، والحاكم، ورئيس الدولة، تجلس المرأة إلى جانبه، وتبايعه على ذلك.

ليست لدينا أزمة في الفكر، ولا حتى أزمة بالتنظير في أن تمارس المرأة دورها، أو أن تكون قيادية في المجتمع إلى جنب أخيها الرجل، وأن تمارس ما أعطاها الله (تبارك وتعالى) من مواهب تكوينية، وعلى ما وجّهها بشريعته الغرّاء، وحدد لها دورها في كل حقل من الحقول.

بالنسبة لنا هذه ليست جديدة، فليس غريباً أن تعتلي المرأة منصة الخطابة، وقبل قليل ذكرت زينب (صلوات الله وسلامه عليها) حيث خطبت في المجلس الذي ربما لا يقوى الرجال الصناديد فيه على الخطابة، وهم يواجهون جبروتاً كجبروت (يزيد بن معاوية).

نحن اليوم وإياكم نتحمل مسؤولية بناء العراق الجديد، ونريد للمرأة أن تأخذ دورها، وتكون بانية لجيل، وبانية للعراق، ولا تختزل دورها في مجال الأمومة على أولادها.

كل الأولاد أطفالكم وأبناؤكم، فعدد الأبناء أكثر من عدد الأولاد، الولادة عملية تكوينية، أما البنوّة والأمومة والأبوة فعملية تربوية، حيث تستيطع المرأة أن تمتد بفضل ثروتها القيمية، والفكرية، والسلوكية إلى المتلقي حيثما يتسع، وحيثما يذهب.

لذلك وقفت الكثير من النساء وراء عظمة الكثير من الرجال، اذا كان للرجل ان يتسنم موقع العظمة في اي حقل من الحقول، فأن باب العظمة هذا ليس مقفلاً بوجه المرأة، كذلك المرأة ساعدت، لكن المرأة تملك اكثر من ذلك، انها تستطيع واستطاعت أن تتحوّل إلى صانعة رجال.

المرأة تصنع الرجال، فبحكم العلاقة التكوينية التي تربطها بالطفل، مكوّنة الخيوط الأولى من شخصيته، والتي تشكل نسيج شخصيته في السنوات السبع الأولى، حيث يكون الطفل ألصق بأمه، وبذلك تأخذ المرأة دورها في بناء شخصية الطفل؛ لأن الطفل وحدة بناء المجتمع فمعنى ذلك أن المرأة تضع يدها على بناء المجتمع بأكمله، لذلك أصاب من قال:

الأم مدرسة إذا إعددتها

أعددت شعباً طيب الأعراق

المرأة ليست فقط نصف المجتمع، هي نصف المجتمع سكانياً وديمغرافياً، وهي النصف الأكثر فاعلية في التأثير على عنصر الرجل منذ سنواته الأولى والتي تتشكل فيها شخصيته، لذلك على المرأة أن تضع في حسابها أنها إذ تتحرك في إطار البيت، هي في الحقيقة إنما تحلق في أفق المجتمع.

لا ينبغي للمرأة أن تنظر لأطفالها وهم في البيت على أنهم في إطار جغرافي محدد، ولا بزمن محدد، بل إنها تعد رجال المستقبل ونساءه، فهي بهذا الزمن تزرع حتى تحصد للأجيال اللاحقة بعد حين:

((أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاء * تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا)).

هذا جيل التأسيس، هذه الظواهر التي علقت الآن على سطح المجتمع من فساد البعض، حيث نسأل: من يقف وراء الإرهاب؟ حتماً للإرهاب الذي يستبيح دم الآخر أم وله أب، وحتماً أن أمه وأباه مارسا دورهما في صياغة شخصيته، ودفعا به إلى أتون الإرهاب، وربما سبق ذلك من خلال التثقيف الطائفي.

من هنا تبدأ المرأة رحلتها من خلال تصورها لهذا المفهوم، مفهوم المقابلة، مثلما يكون للإرهابي، وللطائفي المقيت أم وأب، لابد من أن أكون الأم على الضفة الأخرى، الأم هي التي ترضع في طفلها قيم المحبة، والسلم بدلاً عن الإرهاب، احترام الآخر، ثقافة حقن الدم، ثقافة فهم الحياة، بدلاً من ثقافة هدر الحياة، وبدلاً من سفك الدم، وأن نروّج بدلاً عن ذلك ثقافة التعايش مع الآخرين.

لا ينبغي أن نحارب الفساد من خلال أجهزة الحكومة، علاجات عرضية (أي: أن يكون للأم دور في ذلك)، فالشرطة والجيش يداهمان المشكوك بهم حتى يأخذوهم إلى المحكمة بينما الأم يجب أن تفكر بكيفية تحويل البيت إلى معمل للقيم وللمبادئ، وإنجاب مجتمع متحاب من خلال زرع الحب، وبذر الود في نفوس أبنائها وبناتها.

هذه هي مهمة المرأة.. هذه المهمة التي تتصاغر أمامها كل المهمات، فصدق من قال:

(إن الأم تهز المهد بيد، وتهز المجتمع بيد أخرى).

عندما تصلح المرأة، يصلح المجتمع، وعندما تثابر المرأة على بناء المجتمع، سنختزل زمن الصعود بالمجتمع، وستختفي جذرياً مظاهر الفساد المختلفة، هذه الظواهر التي بدأت تنخر علانية في أجهزة الحكومة كالرشاوى، والتعيينات، والمحاصصة، والكثير من الصور السلبية.

قطعاً، أن للبيت حصة ودوراً في هذه الظواهر الشاذة، فمن حيث بدأت المشكلة، لابد من أن يبدأ الحل.. لابد من أن تعقد المرأة عزمها، وإرادتها لتنطلق، وتغيّر.. لا ينبغي أن تفكر بأنها ستبقى صدى لصوت الآخرين، ما أراد الله (تبارك وتعالى) لها ذلك.

لو كانت (دلهم بنت عمر)، قد فكرت امرأة، وانثى ولا تقوى على الحديث مع زوجها، (زهير بن القين) لبقي (زهير بن القين)، سفيانياً، إن الذي حوّل (زهير بن القين)، من الركب السفياني، الى الركب الحسيني هي (دلهم بنت عمر).

إن التاريخ لا يحدثنا، أن دلهم كانت في مشكلة، وكانت في سجال أو خلاف مع زوجها، على العكس من ذلك، كانت امرأة راشدة وعاقلة، وبجملة واحدة غيّرت اتجاه (زهير بن القين)، فيوم جاءه رسول الحسين (عليه السلام)، قال له: يازهير الحسين يدعوك، سكت، وتقول الرواية كأنما الطير على رؤوسهم، سكتوا جميعاً، فقالت له يازهير:

(ابن بنت رسول الله يدعوك، ولا تستجيب، لو ذهبت له واستمعت له، وانصرفت).

ثلاث مرتكزات، اذهب له، واستمع ثم انصرف منه، وراجع نفسك, وانظر ما يقول لك، الذي صنع (زهير بن القين) وحوله من رقم في الركب السفياني الى الركب الحسيني، هي (دلهم بنت عمر).

لا ينبغي ان نعتاد ان نعيش في البيت عقدة الفحولة.. نريد للبيت ان يعيش عقدة الحقيقة في كل مكامنها، ومن يتوصل إليها، فبها ونعمت.. لا ينبغي أن نفصل بين تراثنا وحاضرنا.. لا ينبغي أن نفصل بين من نتأسى بهم وحياتنا.

ماذا يعني ان نقول: نتأسى برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، أي: ان نقتفي اثره، ونطبّق ما قاله، زينب (عليها السلام) حسمت أمرها، وجاءت الى ركب الإمام الحسين، ورافقته بالطريق، وقدمت أبناءها، وإخوانها، ومشت برباطة جأش، ليس المهم من يقول الحقيقة، لكن المهم هو مكمن الحقيقة.

يجب ان نحترم آباءنا وامهاتنا، ولكن الاحترام شيء، وان نجانب الحقيقة او نقلب الحقيقة شيء آخر، قد تأتي الحقيقة على لسان الأب، أو تأتي على لسان الأم، وقد تأتي على لسان الابن والبنت، (عمار بن ياسر)، صدح بصوت الحقيقة في بيت ابويه، وتسبب بإسلامهما، وبالمناسبة اول من تسنم موقع الشهادة في الاسلام كانت امرأة، وهي (سمية ام عمار بن ياسر).

المطلوب من المرأة اليوم هو أن تتزود بالفكر، وتمزج بين النظرية والتطبيق، حيث تطبق هذا الفكر، وتضعه على المحك لتبني أسرتها، وعلاقتها الزوجية، وتبني مجتمعها على ضوء هذا الفكر، ثم لابد من أن تجيد فن الخطابة؛ لأننا بحاجة الى ان نعبر من خلال منابعنا الفكرية الى ذهن المتلقي من خلال أقوى الخطباء والخطيبات.

الخطباء في حياة أممهم استطاعوا أن يختزلوا زمن الصعود، واستطاعوا من خلال مجتمعاتهم الوصول إلى أرقى الدرجات، من هنا أشعر بالسعادة الحقيقية - وأيما سعادة- عندما أجد جيلاً من (بناتي)، يرتقين المنبر، ويتحدثن بلغة صادقة، يمزجن فيها مزجاً موفقاً بين المعاني، والقيم والألفاظ، حتى نعبر من خلال قلوبهن إلى قلوب المتلقين والمتلقيات.

يجب علينا دائماً أن نفكر: كيف نصل إلى عمق المتلقي؟ كما تقول الآية القرآنية الكريمة:

((فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغًا)).

حيث نفكر كيف نصل إلى عمق المتلقي... أتمنى لكن كل التوفيق.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

لقد ملأت نداءات الحسين الآفاق، وخاطبت الجميع، وألقت الحجة على الجميع، حيث ضم ركبه المبارك كل الشرائح من دون استثناء، فانضوى تحت لواء الحسين (عليه السلام)، من باع جمجمته في سبيل الله.

.....

إن ثقافتي المحبة، والرحمة تتوليان عملية بناء المجتمع بناءً تختنق فيه كل الاحقاد والكراهيات، ولا يمكن لمجتمع ان ينعم أبداً برحمة الفكر المتوّج بالعاطفة، وانت تجد فيه الاقتتال، والحقد، والكراهية، إن الامة والشعب الذي يحب، يطرح آثاره، ونتاجاته بطريقة يقف العقل حائراً في تفسيرها.

.....

السياسي يحتاج لأن يتخلق بالقيم وبالمُثل اكثر من كل الاختصاصات الاخرى؛ لانه معنيّ برسم بناء دولة.. التنافس باب مفتوح، تتنافس بمعنى: انك تبذل قصارى جهدك من اجل ان تلحق بالأفضل والأكمل، والذي يتقدمك في المسيرة، بشرط أن لا تحدث الضرر فيه، أما الاخلاقيات التي نراها في بعض الاحيان، فإنها لا تمثل سياسة علي (عليه السلام)، فالغدر والفسق والفجور (واللف والدوران)، والكذب المتعمد، هذا لا يمت الى سياسة (علي) بصلة.

كلمة دولة الدكتور ابراهيم الجعفري خلال لقائه عددا من شيوخ كربلاء بتاريخ 2009/1/6

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على اشرف الخلق اجمعين، سيد الانبياء والمرسلين ابي القاسم محمد وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين وجميع عباد الله الصالحين..

السلام عليكم جميعاً ورحمة الله وبركاته..

قال الله (تبارك وتعالى) في محكم كتابه الكريم:

((وَلَكِـنَّ اللَّهَ حَبَّـبَ إِلَـيْكُمُ الْإِيمَـانَ وَزَيَّنَـهُ فِـي قُلُـوبِكُمْ وَكَـرَّهَ إِلَـيْكُمُ الْكُفْـرَ وَالْفُـسُوقَ وَالْعِصْيَانَ)).

عندما يكون الحديث في ساحة كساحة كربلاء التي تحولت الى مسرح صراع بين الحق والباطل، وأبت إلا أن تتسنم موقعاً متقدماً في ملاحم البطولة، وعندما يكون الحديث مع جمهور كجمهوركم (زائري كربلاء) يكون الحديث مختلفاً.

انتم ممن يعيشون معاني الثورة الحسينية في كل يوم، ويستنشقون عبير المفاهيم المعنوية، والروح الحسينية حيث تعيشون الحسين في دقائق حياتكم.

هذه المدينة المباركة حيث عشنا، وترعرعنا بها، وتشرفنا بالانتماء اليها، حتى عادت كربلاء مدينة لا تُختصَر بأرضها، ولا بسكانها، وانما امتدت لكل الغيارى، ولكل الثوار في مختلف مناطق العالم، فأصبح الكربلائيون اوسع دائرة من المجتمع الكربلائي الذي تشرف بمجاورة الحسين (عليه السلام).

إن حديثاً كهذا الحديث، وبجمهور كهذا الجمهور، لابد من ان يضع نفسه على محك تحديد الهوية، ما هي ثورة الامام الحسين؟

إنما نركّز على تحديد الهوية؛ لأننا نعتقد ان دراسة كل ثورة في التاريخ، ومعرفة اسبابها ونتائجها امر مهم؛ حتى لا تُسرَق هذه الثورة، وحتى لا يتحول الخونة فيها الى ابطال، ويُوأد الابطال من خلال جهل الذين يتبعونهم، فلا يعرف الرجال ولا الابطال.

وعندما يتكرر الظرف، ومن موقع الهوية الحسينية تتحول الثورة الى منطق للمواجهة في ظرف يتطلب ان نتحلى فيه باخلاق الحسين، وروحية الحسين، وشجاعة الحسين حتى نتأسى به؛ فنكون حسينيي الهوية، وحسينيي العواطف.

كثر الحديث عن هذه الثورة، فالبعض عبّر عنها بأنها مجرد صراع بين بني امية وبني هاشم، هكذا قال الطبري، وهكذا قال اليعقوبي في تأريخه، متصورين أن ما حصل على مسرح كربلاء، ليس إلا صراعاً بين تلك القبائل التي اقتتلت في عصر ما قبل الاسلام!!

لكننا ندرك جيداً، ليس كل بني هاشم قد جاؤوا مع الامام الحسين، بل شمل الركب الحسيني الكثير من ابناء القبائل ممن لا يمتون الى بني هاشم بصلة، إذن... القضية والهوية من طرف الامام الحسين لم تكن قبلية، نعم، صاح صائح من طرف بني امية: يا لثارات بدر، من طرفهم (بني امية)، كانت قَبَلية (اي: المعركة)، اما من جهة معسكر الحسين (عليه السلام) فقد كانت تمثل القيم والمبادئ.

البعض الآخر فسّر القضية الحسينية على أنها أحكام خاصة تنطبق عليه (اي: الامام الحسين)، ولا تنطبق على غيره؛ ليفسروا جُبنهم، وتخاذلهم، وعدم استعدادهم لمواجهة الباطل، مقارنين ذلك بالاحكام الخاصة التي خصت برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، كالزواج المتعدد فوق الاربع، او حرمة الزواج من زوجات النبي بعد وفاته (صلى الله عليه وآله وسلم)، قالوا ذلك في الحسين، والثورة في هذا الشكل فقط، وفقط هي للحسين وليس لغير الحسين.

لقد ملأت نداءات الحسين الآفاق، وخاطبت الجميع، وألقت الحجة على الجميع، حيث ضم ركبه المبارك كل الشرائح من دون استثناء، فانضوى تحت لواء الحسين (عليه السلام)، من باع جمجمته في سبيل الله.

يطلّ علينا بعض المستشرقين ليفسروا الثورة الحسينية على انها طيش عند الشيعة، كـ (فلهاوزن) و(غولدستير)، حيث فسروا الثورة بانها مجرد طيش، والحسين يعلم انه سيقتل لكن أخذته الحماسة؟!.

إن هؤلاء المستشرقين يتنكرون للقيم، والمبادئ التي صنعت من الحسين (عليه السلام) بطولة فذة، لم ولن تتكرر في التاريخ.

لقدد حدد الحسين (عليه السلام) منطلقاً يتعلم منه قادة الامم وجماهيره، كيف ينحون منحى الحسين، ويسيرون على سيرته؛ ليواجهوا الباطل مهما كان قوياً، وهكذا تتعدد النظريات في تفسير ثورة الامام الحسين (عليه السلام).

إنما استهللت حديثي بالاية القرآنية الكريمة:

((وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ)).

لنقف وقفة سريعة، عما هي العلاقة بين العاطفة والعقل؟ حتى نفهم عمق ثورة الامام الحسين، وعمق مفاهيمها، وعمق عطاءاتها، واين يقف الانسان من هذه الثنائية بين الفكر والعاطفة؟

إن الايمان ليس فقط ان تطلق الفاظاً كبيرة، وتعيش أنساً ذهنياً على مستوى الافكار، انما تنزع لما تعتمد من افكار، وما يملي عليك قلبك من احاسيس ومشاعر:

((وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ)).

العاطفة تمتزج مع الفكر، ولا يمكن ان يكون الفكر مجرداً عن العاطفة.. لا نستطيع ان نتصور فكرة من دون عاطفة، كما لا يمكن ان نتقبل عاطفة من دون فكر هذه المزج الثنائي بين الفكر والعاطفة، هو السر الذي جعل ثورة الامام الحسين (عليه

السلام)، ممتدة على طول التأريخ، ولكل شرائح المجتمع، ولا تستثني شريحة من الشرائح، إلا تجذرت فيها الى أقصى أعماقها.

لم يستطع الذين تناولوا الفكرة في اروقة الفلسفة أن يتحولوا الى تيارات اجتماعية ينضوي تحت لوائهم ابناء الطبقات الاجتماعية المختلفة، لكنّ ثورة الامام الحسين (عليه افضل الصلاة والسلام) تجد فيها القمة في الفكر، وتجد فيها المرجع والمفكر، والمثقف والمختص، والاقتصادي والفنان والرياضي، وتجد فيها الصغير والكبير، وتجد فيها الرجل والمرأة، وتجد هؤلاء جميعاً يلهجون، ويكررون شعارات الامام الحسين (عليه السلام).

ما هو السر الذي يجعل هذه الثورة تمتد الى هذه المساحة الواسعة من المجتمع، فتعبر الى الآخر المذهبي لتجد تعاطفاً من اخواننا ابناء السنة، بل تجد تعاطفاً من الآخر الديني فتتجاوب معها الديانات المختلفة، حتى عاد الحسين نمطية خاصة بالتفكير، وآلية متميزة للمواجهة لأنه مزج الحب بالفكر، حيث صدح بصوته وهو يعرّف بنفسه: (إني لم اخرج أشراً، ولا بطراً، ولا مفسداً، ولا ظالماً انما خرجت لطلب الاصلاح في امة جدي)، وبأية آلية: الامر بالمعروف والنهي عن المنكر.

هناك حب من المعطي، وحب من المتلقي، وحب في الآلية، كيف تدعو الاخرين الى فكرتك، اية فكرة هذه التي تحملها، واي هدف هذا الذي تسعى من اجل تحقيقه، مالم تكن قد حسمت امرك من انك تحب هذه الفكرة، وتحب هذا الهدف، واي رجال ونساء تخاطب، عندما تريد ان تدعوهم، وتأمرهم بالمعروف، وتنهاهم عن المنكر، تخاطب من تحب، وبأية طريقة؟.

تخاطبهم طبعاً بالطريقة المحبّبة، إذن تنطلق من الحب لتعطي، وتتجه بالحب لمن يتلقى، وتختار الاسلوب المحبب الى نفوس الاخرين:

((ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)).

هذه هي رسالة الامام الحسين.. لم يكن هذا الصوت الذي دوّى منذ غادر المدينة متجهاً الى العراق بالذات، بمعزل عن التطبيق.. كل مجلس من المجالس التي مر بها الامام الحسين (عليه السلام)، كان قد صدح بصوته الموشّح، والمؤطر بآيات الحب، لذلك حوّل الاخرين ممن كانوا حوله، أوممن صادفوه بالطريق.

على سبيل المثال، احد النماذج هو (زهير بن القين)، خاطبه بلغة محببة فحوّله من الهوية السفيانية، الى الهوية الحسينية، ويوم كرر خطاباته في كربلاء، وقد كان في حصار جغرافي، لكنه وضع الآخرين في حصار فكري، وحصار معرفي، وحصار

قيمي فتعاون وتجاوب معه الاحرار، وكان احد هؤلاء هو (الحر بن يزيد الرياحي التميمي).

لقد استجاب الحر لدعوة الامام الحسين؛ لأنه (عليه السلام) نشر لواء الحب والحرية في كل مكان حل، ولكل شريحة.. كان يخاطب الجميع بهذه اللغة (لغة الحب)، واليوم تعاني أمم العالم أشدّ ما تعاني من غياب هذه اللغة.

لقد ركز انبياء الله (عليهم السلام)على المحبة ، جميعاً وخصوصاً نبي الرحمة الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فقد كان ملأ قلبه الحب:

((فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ)).

كل علاقة في القرآن الكريم يتوّجها القرآن بإكليل الحب، فلا توجد فكرة بلا حب.. الانسان الذي يغيب الحب من حياته، يعيش أسير الذات، وأسير النرجسية، وأسير الشخصنة، لقد قام الاسلام على الحب بين الناس :

((إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ)).

إن مفهوم الأخوّة، ليس بعيداً عن آيات الحب، الذي يحول الاخوة الى حياة دافئة تنبض بكل معاني المحبة، قال الله (تبارك وتعالى) في إطار الأخوة:

((مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ)).

لقد جعل الإيمان قرين الحب:

((أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ)).

فلمجرد الذكر، ولمجرد ان يتفتح العقل لاستقبال المفهوم العقيدي، تجد القلب يهتز مرهفاً بالحس:

((إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ)).

القلب يتحرك تبعاً لحركة العقل، والعلاقة الزوجية هي الاخرى لم يجعلها علاقة مفهومية مجردة:

((وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا)).

بعد ذلك:

((وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً)).

بل ان القرآن لم يكتفِ باطار المحبة القابعة في القلب، انما اراد لهذه المحبة ان تتفجر في القلب ثم تشق طريقها على شكل سلوك، لذلك عبّر عنها بالمودة، وهذا هو الفرق بين المحبة والمودة.

المحبة ان يتعلق المحب بشخصية المحبوب بالله (تبارك وتعالى)، والرسول واهل بيته (عليهم السلام)، او كل محبوب في حياته، اما المودة فلا يكفي ان نحب في القلب، انما نعكس ذلك بالمودة:

((قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى)).

إن ثقافتي المحبة، والرحمة تتوليان عملية بناء المجتمع بناءً تختنق فيه كل الاحقاد والكراهيات، ولا يمكن لمجتمع ان ينعم أبداً برحمة الفكر المتوّج بالعاطفة، وانت تجد فيه الاقتتال، والحقد، والكراهية، إن الامة والشعب الذي يحب، يطرح آثاره، ونتاجاته بطريقة يقف العقل حائراً في تفسيرها.

على الرغم من أن العراق بلد غني، إلا ان الشعب العراقي شعب فقير، وفقره هذا بسبب الاوضاع الاقتصادية، والسياسية، والامنية السيئة، لكن هذا الشعب الذي يعيش حالة الفقر، ونحن نرجو الله (تبارك وتعالى) أن يوفقنا جميعاً والآخرين، للانتقال به الى ما يستحق، وما يتناسب مع ثرواته الطائلة والمتنوعة، لاحظوا كيف وقف هذا الشعب الكريم في ازمة جسر الأئمة؟.

النظام المقبور قد اشاع ثقافة (الفرهود) وقد قلتها هنا في كربلاء، واعطى انطباعاً بأن استلاب اموال الناس، هو السلوك في كل ازمة امنية تتمظهر، كما حصل في كردستان، وحصل في الانتفاضة الشعبانية المباركة، وحصل باحتلال الكويت، والاعتداء على ايران، هذا ما اراد نظام صدام اشاعته.

لكن بمجرد ان تمت مبادرة التبرع لضحايا جسر الائمة، لا تجد إلا الناس يهرعون، ويتسابقون وهم من افقر خلق الله من الناحية المالية، لكنهم كرماء، لا تسأل عن الكريم كم يملك؟ فكّر كم يعطي.... الكرم جنون، لا يفكر بعقل اعتيادي، فهو يطرح الحسابات المادية جانباً، وهذا مستوحى من القرآن الكريم:

((الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء)).

فالكريم ينفق ليس فقط عندما يكون ميسوراً، بل حتى عندما يكون مضنوكاً وفقيراً، لكنه يعطي، لئلا تموت عنده حاسة، وملكة الكرم، شعب فقير، ووقف الناس طوابير على التبرع حتى جادت أكفهم بعشرين مليون دولار، وُزّعت على ألف من ذوي الشهداء، فكانت حصة كل عائلة، وكل شهيد واحد، عشرين الف دولار، وزعت في

حينها على عوائل الشهداء كافة، ومن كان له اكثر من شهيد، كانت حصته اكثر من عشرين الف دولار.

هذا ما حصل في العراق، ولننتقل الى مشهد آخر، ننتقل الى امريكا التي تتربع على عرش العالم، دولة الكارتلات الاقتصادية، صادف ان يكون في ذلك الوقت اعصار كاترينا، وهو اعصار طبيعي لا شأن للحكومة فيه، فما الذي حصل؟

تسابق الناس على السرقة، واضطرت الحكومة لأن تصدر قراراً مفاده، اضرب واقتل، اشهر مسدسك واقتل السارق، من اجل قطع الطريق امام السراق الذين هرعوا لسرقة الدكاكين.

هذه هي قيم ومبادئ الاخرين، وهذه هي قيمنا ومبادؤنا، ونحن على يقين ان امم العالم هي ذات الامم التي تنفتح على القيم الحقة، وان امم العالم لو انها انفتحت على مبادئ الامام الحسين، واخلاقياته لعكست ذات السلوك من دون فرق بين هذه الامة وتلك.

إذا كان الكرم يحتاج بعض الشجاعة على مستوى المال، فإن أقصى درجات البذل هو بذل النفس، ومن يتطلع الى الكثير من الثوار، يجد انهم بشكل او بآخر اقتبسوا من ثورة الامام الحسين، امثال (عزالدين القسام) في فلسطين، و(عبد القادر الجزائري) في الجزائر، و(عبد الكريم الخطابي) في المغرب، و(عمر المختار) في ليبيا، والكثير من هؤلاء الثوار استوحوا كثيراً من المفاهيم من ثورة الامام الحسين (عليه السلام).

فعندما سئل (انطون كوين)، بطل فلمي الرسالة وعمر المختار: ما الذي أثّر فيك من شخصية المختار، وقد مثّلت شخصيته؟ قال: كلمة قالها المختار، حيث قال: اذا كان المدفع الايطالي قد كسر سيفي، فان الباطل الايطالي لن يكسر إرادتي، هذا درس من دروس الامام الحسين (عليه السلام).

إن ثورة الامام الحسين لم تقُم على الاحقاد إطلاقاً، بل على العكس من ذلك، ففي كل ميدان من الميادين، نشعر أننا بأمسّ الحاجة لتمثّل سيرة الامام الحسين، نتمثلها في الميادين المختلفة، مما عند ابناء امته للشعور المتصاعد بالحب والوفاء.. ما الذي يجعل هؤلاء الناس يأتون من مختلف المناطق، يمشون في الطرق، ويستهدفون زيارة الامام الحسين، يتفاوتون في الثقافة، ويتفاوتون في الانحدار القبلي، والمجتمعي، والقومي، وحتى المذهبي لكنهم يتجهون نحو الامام الحسين، بمشاعر واحدة، وعواطف واحدة، والمشاعر عندما تنطلق من مفاهيم، وتتوخى تحقيق اهداف تبلغ ذروتها.

أروع شيء لدى الأمم عندما تمارس عملية إبداء المشاعر من موقع الوعي في الفكر الذي تنطوي عليه هذه المشاعر، هذا الدرس الذي تعكسه ثورة الامام الحسين (عليه السلام).

على هدي القرآن الكريم، وتجسيداً لثورة الامام الحسين، نحتاج لأن نفتح باب التنافس الشريف والحُر في مجال الخدمات؛ حتى يتصدى الأكفأ لبذل كل ما بوسعه في تقديم الخدمات لشعبه، ونحتاج الى القوة السياسية الأكفأ من موقع الحب للشعب؛ لتقدم أكثر ما تستطيع للشعب، حيث يتنافس الاطباء على خدمة المرضى، والمهندسون لتحقيق فرق في الإعمار، والزراعيون لمكافحة التصحّر واستصلاح الارض، وكذلك يتنافس التجار أيضاً في ميدان التجارة، كل هؤلاء يتنافسون لإيصال الحاجة الى المواطن، حيث التنافس مبدأ قرآني:

((خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ)).

أما إذا جئنا إلى السياسة، ووصلنا إلى عمق المشكلة فالسياسي يحتاج لأن يتخلق بالقيم وبالمُثل اكثر من كل الاختصاصات الاخرى؛ لانه معنيّ برسم بناء دولة.. التنافس باب مفتوح، تتنافس بمعنى: انك تبذل قصارى جهدك من اجل ان تلحق بالأفضل والأكمل، والذي يتقدمك في المسيرة، بشرط أن لا تحدث الضرر فيه.

أما الاخلاقيات التي نراها في بعض الاحيان، فإنها لا تمثل سياسة علي (عليه السلام)، فالغدر والفسق والفجور (واللف والدوران)، والكذب المتعمد، هذا لا يمت الى سياسة (علي) بصلة، فهاهو امير المؤمنين يقول :

(والله ما معاوية بأدهى مني ولكنه يغدر ويفجر).

السياسة تحتاج الى اسمى درجات القيم والمبادئ، حتى يستطيع الانسان عندما يضع نفسه تحت طائلة الحساب، ويقف بين يدي الله، وامام شعبه يكون رافعاً الرأس، لانه ما خان الامانة .. لم يفكر الامام الحسين (عليه السلام) بانتصار نفسه على مستوى القوة والبدن، لكنه فكر كيف ينتصر على مستوى المبادئ والقيم.

لقد قتل (عمر بن سعد) الامام الحسين (عليه السلام)، بدناً، وبنو امية قتلوا الحسين بدناً كذلك، لكن الحسين قتلهم فكراً وقيماً، فلولا ثورة الامام الحسين، وتضحية الامام الحسين لم يكن صوت الاسلام ليرفع، ليس في الدول الاسلامية فقط، بل في كل منطقة من مناطق العالم.

اليوم وبفضل تضحية الامام الحسين (عليه السلام)، أصبح صوت الاسلام مرفوعاً في كل ارجاء الدنيا، في لندن عاصمة بريطانيا هناك اكثر من عشرة مجالس واسعة، وخطباء محترمين مشهورين يمارسون عملية الخطابة الحسينية، هذا هو الامام الحسين.

الامام الحسين عطاء متدفق، يريد لنا ان نبني هذا المجتمع، يريد لنا ان نقيم دعائم دولة، نحن نعيش عصر انتصاره اليوم، ويجب ان نضع هذه القضية في حساباتنا؛ لأن الامام الحسين (عليه السلام) عندما خرج متجهاً الى العراق، دوى صوته وبكل صراحة:

(إنما خرجت لطلب الاصلاح في امة جدي).

ماذا يعني الاصلاح، وماذا يعني ان تكون مصلحاً؟ يعني ان هناك فساداً، إما نبقى نشجب الفساد فيبقى الفساد فساداً، ونبقى نشتم الظلمة ولكنها لا تزول وستبقى، وتزداد حلكة، اما عندما توقد شمعة، سيهزم الظلام من امامك، الامام الحسين عندما واجه الفساد واجهه باصلاح، لا يكفي ان تكون صالحاً في بيتك، وتقول انا في بيتي لا أؤذي احداً، وانا رجل صالح أصوم، وأصلي ولم أؤذ احداً.

نعم.... تكون صالحاً في داخل بيتك، مثلما يكون الفاسد فاسداً في داخل بيته ومع نفسه، لكن عندما يكون مفسداً فينشر الفساد، وينهب اموال البلد، ويحابي بين الناس، ويحاصص لا على اساس القيم والمبادئ، فهذا فساد يحتاج معادلاً، ومعادل الفاسد هو الصالح، ومعادل المفسد هو المصلح، والذي يواجه المفسد، هو الذي ينشر، ويحمل لواء الاصلاح للآخرين.

لذلك فان الله (تبارك وتعالى) وعد، ووعده الحق، ان يكف ويرفع العذاب على القرية التي يتواجد فيها ثلة من المصلحين حتى اذا كان اهلها ظالمين:

((وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ)).

إن الذي يتمسك، ويتأسى بثورة الإمام الحسين يجب أن يتحول شعار الإصلاح عنده الى حالة مستديمة:

(إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي).

بخصوص ظواهر الفساد المنتشرة اليوم في المجتمع، هل فكرنا كيف نتجاوز مرحلة تشخيص الفساد الى المستوى الذي نتصدى لتغييره؟ البعض يفكر أن هذه من اختصاص الحكومة، ولكن الحكومة وحدها لا تستطيع أن تفعل شيئاً.

ما هو المصنع الذي صنع الارهابي، وصنع الطائفي، وصنع المرتشي، وصنع الخاطف، هؤلاء مصنّعون في بيوت يوجد فيها أم وأب.

ما هي الثقافة التي أنتجت إنساناً ينتحر بمحض إرادته، ويقتل نفسه قبل الآخرين، يوجد بيت ومصنع؟! عندئذ سنجد أنفسنا مسؤولين جميعاً من دون استثناء كأزواج، وآباء، وخطباء على المنابر، ومعلمين في المدارس، وتجار في السوق، وسائقين في السيارات، وزبائن في المقاهي.

نحن - العراقيين- جميعاً مسؤولون من دون استثناء عن كل ما يجري في البلد.. ذهب ذلك الوقت حيث يقف فيه الشعب في مقابل الدولة، او الحكومة، الشعب هو القاعدة العريضة التي تأتي بالحكومة، وتراقب عمل الحكومة، وتختار البديل عن الحكومة، وتدعم الحكومة وتجدد لها، الشعب.... هو ذات الشعب الذي جاء بالحكومة، وهو ذات الشعب الذي يتحمّل مسؤوليتها، لذلك يجب أن تتحول كل مجالسنا إلى عملية إصلاح للمجتمع.

لسنا ضد المقهى عندما يكون مجالاً لتبادل وجهات النظر، على العكس من ذلك يتحول إلى برلمان مصغّر، نحن ضد المقهى، عندما يكون المقهى مجالاً للثرثرة، وإشاعة ثقافة الشغب، وامتصاص الناس والشباب من العمل ونشر البطالة.

نحن لسنا ضد القبيلة على العكس من ذلك، فعندما يكون ديوان القبيلة مكاناً لفضّ النزاعات والتي لا تملك في بعض الأحيان الكثير من أجهزة الدولة القدرة على حلها، وإطفاء الحرائق الناشئة عن الصراعات بين الأطراف المتنازعة، وتستطيع ديوانية القبيلة أن تخمد تلك الفتنة، فيمكن للقبيلة أن تؤدي دوراً مهماً وتعطي نتائج مذهلة.

هذا تاريخ العراق، يحكي لنا ذلك، القبيلة ليست عدواً على العكس، دعكم من الفكر الذي جاءنا، ووفد إلينا من الخارج، ويعتبر القبيلة ظاهرة برجوازية اقترنت بالإقطاع وعفا عليها الزمن، هذا الفكر أثبت الواقع فشله، انتهى وانهار، القبيلة حقيقة قرآنية:

((يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ)).

ان نكون عشائر، فهذا ليس قراراً منا، هذا قرار من الله (تبارك وتعالى)، لكن هذا التعدد بالقبائل، عندما يكون من وحي الانتماء القبلي المتعدد المتكامل، والمتنامي، كما كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، متكاملاً بمختلف القبائل، لم يتحول

هذا إلى عصبية قبلية، نحن لسنا ضد التعصب القبلي، فالانتماء القبلي مصدر قوة، كل الثورات في العراق وقفت فيها العشائر أذرعاً ذادت، وقدمت خيرة أبنائها وبناتها من أجل العراق.

إن ثورة الإمام الحسين (عليه السلام)، رصيد يعكس فكراً.. ثورة الإمام الحسين تحمل أسراراً لبقاء القيم والمبادئ، كثير من المحاولات المجتمعية انتهت، ولم تستطع الصمود، لانها ما دخلت إلى الوجدان الشعبي، أما ثورة الإمام الحسين فقد دخلت إلى الوجدان الشعبي، وشكلت قاعدة أساسية بقي علينا إشادة الصرح الذي يقوم على تلك القاعدة.

يبقى على المسؤولين أن يرعوا هذه المسيرة المباركة، ويتفاعلوا معها، ويشيّدوا عليها صرح الدولة المنشود.. يجب أن نفكر الآن بأن الحسين انتصر بمبادئه على أعدائه، وأن نكمل ثورة الإصلاح، وعملية الإصلاح.. فالإمام الحسين لم يقل: 'ن نزالي ليزيد نزال لشخصين، بل نزالي مع يزيد نزال بين خطين:

(مثلي لا يبايع مثله).

نحن نتأسى بعبادة الحسين، وبسلوك الحسين، وبنتاج الحسين، ومن أجل تحقيق أهداف الحسين، الحسين حارب الفقر والظلم، وكرر مقولة أبيه الإمام علي (عليه السلام)، عندما واجه الفقر:

(لو كان الفقر رجلاً لقتلته).

لم يحارب الغنى، ولم يحارب الأغنياء، بل حارب الفقر حتى يتبدل هذا الوضع.. المفارقة الكبيرة أننا ننتمي إلى بلد غني تعددت فيه الثروات، وحتى اليوم لايزال شعبنا فقيراً، أنا لا أزعم أن رحلة الانتقال من الخراب إلى الإعمار تتم بين عشية وضحاها حتى لا نظلم الآخرين، لكننا لابد من أن نلحظ الفرق، إن لم يكن بمعدل شهري، على الأقل فبمعدل سنوي.

يجب أن نمضي بالعملية التنموية في المستوى السياسي، والأمني، والخدمي، والاقتصادي نحو الأعلى، وكلما واجهنا فرصة لتطوير أجهزتنا التنفيذية كمواسم الانتخابات، يجب أن نضع في حسابنا أننا على موعد مع إعادة النظر بالتجربة السابقة، حتى نعي مواقع من هو الأكفأ، ومن هوالأنزه من دون أن نثير نزعة الاستعداء لدى الآخرين.

لا يستطيع أحد أن يختزل الخيّرين والخيّرات في داخل وضعه، الحمد لله، رحم العراق رحم معطاء، فكل القوائم، وكل الكيانات السياسية المختلفة فيها من

الـوطنيين، ومـن الأكفـاء، لـذلك يجـب أن نـشيع ثقافـة تـصل إلـى حـد الـوعي.. إن المواطن عندما ينتخب يستهدف الأكفأ والأنزه.

كيف نحارب ظاهرة الفساد، ما لم نخلص أجهزة الدولـة من عناصـر الفساد، المفسد لا يمكـن ان يـنهض بمهمـة الاصـلاح، تـستطيع ان تنقل مـالاً للآخـرين وانـت فقيـر، وتستطيع ان تحفظ شيئاً ما ولست متفاعلاً معه، وتوصله الـى متلقٍ علمـي، امـا تنقل شيئاً وتصلح الاخرين وانت فاسد فلا تستطيع؛ لان فاقد الشيء لا يعطيه.

لا يهمنا أبداً من أية جهة يأتي هذا المرشح، وتقع قناعة الشعب به، بشرط أن تعطـى الفرصـة المتكافئـة لكـل القـوى الـسياسية، لأن تعـرض مالـديها مـن قابليـات أبنائهـا، وبناتها حتى يتصدوا لحمل المسؤولية الجديدة.

المسيرة فـي حالـة تـصاعد، والعراق اليوم تـوافرت فيـه كل عوامل النمو والتنميـة، ولابـد مـن أن نجـري حالـة مـن المـضاهاة والتـوازي مـن خـلال تطـوير الدسـتور، وتطوير أجهزتنا التنفيذية حتى تصل إلى ما ينبغي أن تصل إليه.

إن ظواهر الفساد التي تدبّ في المجتمع، وبعض أجهزة الدولـة لابد من أن يوضـع لها حد، والتلويح بالضغوط ليس من الوطنية في شيء، والتلويح بالاغتيالات منطق الجبناء، والتلويح بالاعتقالات غيرالصحيحة والظالمـة منطق الجبن، ولا يؤدي إلـى نتيجة.. نحن مع القضاء العادل.. مع تطبيق المبادئ والمفاهيم، كل مسؤول علـى محك التجربـة وأبنـاء شـعبنا يقرأون جيداً، ويعون جيداً مـا أفرزتـه تجربـة السنوات الخمس التي انصرمت، لم يعُد مجرد مُلصَق جداري اليوم يغيّر قناعة المواطن، هذا منطق قرآني:

((أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّـا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ)).

ماذا أفرزت التجربة، من الذي خدم العراق، ومن الذي استخدم العراق، من الذي كان أميناً على حرية الرأي، ومن الذي حاول أن يختزل العراق بوضعه أو كيانـه؟ اذا اعتقل من يتصورون انـه يخشى الاعتقال، عندئذ سيكون السجن واحـة واسعة، متأسياً بالامام الكاظم (عليه السلام).

لا يخاف احد من الاعتقال عندما يكون علـى الطريـق الصحيح، ولا يخـاف احد من الاستشهاد عندما يكون في القتل حياة لأمتك:

هلا علمت ان القتل يولدني

انا القتيل فيا مرحى بميلادي

أهلاً وسهلاً بالقتل في سبيل الأمة، هذا سر القوة عندما يكون الشعب مؤمناً، وعندما يكون المتصدي مؤمناً، أرأيتم الشهداء الذين فتحوا لنا الطريق، أرأيتم الصدرين الأول والثاني، وقوافل الشهداء من الحركات كافة ، والأحزاب والكوادر، أرأيتم ماذا قدم هؤلاء، وماذا وضعوا في حساباتهم عندما قدموا ما قدموا؛ حتى يأخذ الآخرون حفنة من المال، او يشغلوا موقعاً معيناً، او من أجلكم، أو من أجل شعبنا، ومن أجل محاربة الفقر ورفع مستوى الخدمات، وتحقيق السيادة؟

هذه السيادة المسلوبة، تقام الدنيا، وتقعد على بعض الخزعبلات الجزئية، إلا أنه عندما تقتل بعض حرائرنا لا يتحرك أحد.. من حصاد الأسبوعين الماضيين، بنت في الأسبوع الأول بعد لم تتم يومها السابع، تقتل في الشارع، ومعها أمها وأختها، ولا توجد كلمة اعتذار، ولم تصدر أية كلمة استنكار، والله، أعرف في أحد بلدان أوروبا، أن أحد العراقيين أو العرب قام باصطياد (طير ماء) سُحِبت منه إقامته، لماذا؟

هذا حصاد الاتفاقية الأمنية، هذا خزيها وعارها، ماذا كانت النتيجة، ماذا ننتظر أن تتحول الضحية إلى خاتمة للتضحيات، لو كان شعبنا جباناً، ويقبل على ما يقبل سابقاً لسكت على الأنظمة المقبورة، لكنه ظل رافعاً صوته هادراً، ويواجه كل أنواع التحديات.

إن الشعب الذي صنع تلك البطولات هو أكثر شجاعة من أن يحفظ نتائجها على هؤلاء، إنهم أمام شعب، الشعب يبقى، والحكومات تتوالى على مر الزمن، إرادة الشعوب تنتصر حتى إذا طالت رحلة التغيير، أرأيتم ما حصل في أمريكا قبل شهر او شهرين بعد رحلة طويلة لأول مرة ينتصر الشعب الأمريكي إنسانياً، فيوصل أحد مواطنيه الملوّنين إلى رئاسة الجمهورية، بعد مائتين وخمس وعشرين سنة، وأربع وأربعين رئاسة وثلاثة وأربعين رئيساً، يأتي أوباما.

ألا إني أذكره (باراك اوباما) بأنه يجب عليه أن يبرهن أنه معبّر عن حقوق الإنسان، وليس فقط عن حقوق شعبه أو لونه، وعليه أن يبرهن أنه تعبير عن انتصار الديمقراطية، وليس الحزب الديمقراطي، وليستفد من الذين سبقوه، فبعض مفكري أمريكا، وبعض الدول الغربية بصورة عامة كانت لهم جنبة إنسانية، لذا عليه أن يستفيد من هذا التاريخ.

نحن ندخر ايضاً من قيمنا ومبادئنا، ما يجعلنا شعباً قادراً على أن يقيم دولة حضارية ذات اقتصاد قوي، وقيماً قوية، ونظاماً سياسياً قوياً يتسع للآخرين.. أنا على يقين أن

القوى الوطنية المخلصة على الرغم من تعددها على مستوى المركز، وعلى مستوى المحافظات لو تظافرت جهودها لحققت أهدافاً، وطموحات، وآمالاً كبيرة.

إن العملية السياسية لا تستغني عن أي أحد منهم مهما كانت خلفيته، ومهما كان دينه أو مذهبه، أو قوميته.. العراق يحتاج أبناءه، وبناته لتقويم التجربة، ورسم معالم الدولة العراقية الجديدة، التي يسود فيها العدل، ونطمح أن يتحقق فيها الازدهار الاقتصادي.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

السيادة، والوحدة، الوطنية، أي: وحدة صف شعبنا، ليست رغبة عابرة، ولا هتافاً يطلق لأجل مصالح سياسية، إنما هذه الشعارات تنبع من القلب، وتحدد مسار المسؤولية، وتستنهض الهمم العالية؛ لنرتقي ببلدنا إلى حيث ينبغي أن يكون.

.....

هناك الكثير من دول العالم التي التفّت حول زعاماتها السياسية، ولم تستطع أكبر دول العالم ان تهزم تلك القوى السياسية، وتلك الزعامات، لعل أحد الامثلة المشهورة هو (المهاتما غاندي)، الذي حرر الأمة الهندية، وواجه اعتى امبراطورية في حينه، بريطانيا العظمى لم تستطع ان تهزم غاندي بثورته المسالمة، واستطاع ان يحقق استقلالاً سلمياً للهند.

.....

نحن لا نقر بعض العادات، والتقاليد التي علقت من الناحية العُرفية ببدن القبيلة، في يوم ما كانت القبيلة تستنكف من اسم المرأة، وكانت عقدة الفحولة قد استبدّت في أوساطها، أما اليوم فقد استطاعت القبيلة أن ترتقي إلى مستوى مبادئنا، وأن ترتقي إلى مستوى ما يريده القرآن الكريم، وفي بعض جوانبها استطاعت أن تسجل فرقاً في مجال التعامل مع بناتها.

كلمة دولة الدكتور ابراهيم الجعفري خلال زيارته مدينة الحسينية كربلاء بتاريخ 2009/1/8

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أفضل الخلق أجمعين سيد الأنبياء والمرسلين أبي القاسم محمد، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين، وجميع عباد الله الصالحين..

والسلام عليكم جميعاً ورحمة الله وبركاته.

قال الله (تبارك وتعالى)، في محكم كتابه العزيز:

((وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا)).

عظّم الله لكم الأجر والثواب بهذا المصاب الجلل، الذي نعيش وإياكم ذكراه الأليمة، ذكرى سيد الشهداء، وعنوان الحرية، وحامل لواء حقوق الإنسان عبر التاريخ أبي عبد الله الحسين (صلوات الله وسلامه عليه).

في مثل هذا المكان تلتقي عندي ذكريات تمتد إلى منتصف الستينيات، حين كنت أتردّد هنا طالباً في بدء الأمر بكلية الطب، وكنت أتجوّل بين بساتين هذه المنطقة، وألتقي عشائرها، وأبناءها، ثم شاء القدر أن أعمل بطبابة الصحة الريفية، فاستأنفت عملي من حيث انقطعت أيام كنت طالباً، وأزعم أني لم أترك منطقة من هذه المناطق إلا تشرفت بالتردد عليها، بستاناً بستان، وعائلة عائلة، وكنت أمارس دوري هنا، وأتألم لآلامهم، وأحمل طموحاتهم، وأتطلع لأن أسهم في وضع حد للمآسي التي ألمّت بشعبنا...

هنا تلتقي الذكريات بي منذ ذلك الوقت، مع الزمن العاشوري الثائر الذي يرفدنا كلما تتكرر ذكرى كربلاء، حيث تغمرنا بموج هائل من الرفض المعنوي العارم لكل أنواع الفساد، ونحن نستحضر شعار الإمام الحسين (صلوات الله وسلامه عليه):

(إني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي).

هذا الإصلاح الذي دفع بالحسين، والركب الحسيني باتجاه التضحية؛ حتى يعم الإصلاح ربوع الأرض، وحتى يهزم الإصلاح كل أنواع الفساد، وحتى يكون الإصلاح عنواناً للتضحية، والإيثار، والحياة من أجل الآخرين.

كنت وإياكم أستمع قبل بضع دقائق، لكلمة أخينا العزيز الشيخ (رعد)، وكان موفقاً عندما أشار من جملة ما أشار إلى أهمية الوحدة، أي: وحدة العراق، سيادة وشعباً بمختلف مكوناته، وحين يطلق صوت الوحدة من منبر كربلاء فإن ذلك يعني الشيء الكثير؛ لأن كربلاء لم تعُد للكربلائيين بالسكن، ففي كربلاء تلتقي الجموع التي تتحشد في ذكرى عاشوراء من كل مناطق العراق، بل من كل مناطق العالم الإسلامي عرباً وغير عرب.

لذا، فحين تبعث كربلاء من خلال أبنائها، وبناتها البَرَرة رسالة الوحدة من موقع المسؤولية، فإنها بذلك تؤكد على أهمية أن تكون حركة الإصلاح، وتيار الإصلاح، وأهداف الإصلاح، وتحديد مسار الإصلاح في كل محافظة من المحافظات، ليست بمعزل عن مجمل حركة الإصلاح بكل تفاصيله في المحافظات الأخرى.

السيادة، والوحدة، الوطنية، أي: وحدة صف شعبنا، ليست رغبة عابرة، ولا هتافاً يطلق لأجل مصالح سياسية، إنما هذه الشعارات تنبع من القلب، وتحدد مسار المسؤولية، وتستنهض الهمم العالية؛ لنرتقي ببلدنا إلى حيث ينبغي أن يكون.

الوحدة الوطنية ليست شعاراً، إنما هي مشروع عمل، حيث نخاطب مختلف الشرائح الاجتماعية، ونعي المشترك بينها، ونحترم خصوصياتها، ونقاط الاختلاف بينها سواء كانت على خلفية قومية، أو مذهبية، أو عشائرية، أو سياسية، لكننا نخاطب الجميع من خلال المساحة المشتركة فعلاً، وهي إننا نريد أن نبني العراق.. نريد أن نضع العراق في مصاف الدول المتقدمة، والذي يتناسب مستوى معيشة أبنائها بمستوى ثروات بلدانهم..

فالعراق بلد غمره الله (تبارك وتعالى)، بمختلف أنواع النعم، هو أهل لأن يتسنم موقعاً متقدماً في الثروة.. ثروة النفط كمّاً، ونوعاً، وزمناً، وعمراً، وثروة الماء التي طالما تغنّى بها الشعراء، ووصفها كتاب التاريخ، ومنظرو الحضارة، فهو بلد الرافدين.. بلد الفراتين (دجلة والفرات).

العراق كذلك هو بلد الموقع الإستراتيجي.. بلد الزراعة والذي تشابكت غصون أشجاره، ونخيله الباسق، حتى سُمّي (أرض السواد)، لشدة كثافة زرعه، وبلد الحضارة التي اختمرت بواكيرها منذ فجر التأريخ؛ فرسمت بذلك خط الحضارة الصاعد، منذ بدأ الإنسان رحلته في بداية المسيرة، إلى أن صعد إلى القمر.. البداية من هنا.... من العراق.

حضارة العراق هي حضارة العالم، ففي مجال الصناعة، ومجال التجارة احتل العراق موقعاً في التاريخ، وبقي عبر مراحل الزمن المختلف، يأبى إلا أن يحافظ

على موقعه المتقدم، حتى إن بغداد عندما اختارها (أبو جعفر المنصور)؛ لتكون عاصمة للدولة العباسية، لم يخترها لأسباب حربية، إنما اختارها لأسباب تجارية، فهي تقع على ضفاف دجلة.

في العراق أيضاً، هناك الكثير من الثروات المعنوية، إلى جانب الثروات المادية، حبا الله العراق بها، ففي العراق وطأت أقدام إبراهيم (عليه السلام)، ونبي الله يونس (عليه السلام)، وكثير من الأنبياء، وفي العراق الأئمة الأطهار، حيث تنوّرت أرض العراق بالمراقد الشريفة المقدسة، وفي العراق أصحاب المذاهب من أبناء السنة، وفي العراق التقت القبائل العربية المختلفة ذات العروق التي تجذرت من مختلف مناطق العالم العربي، واستقرت في العراق؛ فأصبح العراق بذلك ملتقى الحضارات.. ملتقى القبائل.. ملتقى الأديان.. ملتقى المذاهب.. ملتقى القوميات.

لقد أراد الله (تبارك وتعالى) للعراق أن يكون كذلك، هذا على مستوى الفعل، أما على مستوى ردود الفعل، فإن الأخطار المحدقة بالعراق لا تفرق بين العراقيين.

الإرهاب كما الدكتاتورية، فقد حصدت الدكتاتورية بسيوفها رؤوس العراقيين من دون تمييز، حصدت العرب، والأكراد، والتركمان، حصدت المسلمين وغير المسلمين، حصدت الشيعة والسنة، حصدت أبناء القبائل.

لقد قدم العراقيون خيرة أبنائهم وبناتهم، وطرّزوا أرض العراق بأزكى الدماء من أجل أن يتخلصوا من الدكتاتورية، ما كان من قوات التحالف (أمريكا وبريطانيا وفرنسا واستراليا وبقية قوى التحالف)، بكل سطوتها، ما كان لها أن تهزم النظام المقبور لو لم يكن الشعب العراقي قد زلزل الأرض من تحت أقدامه، وحوّله إلى نمر من كارتون، فسقط في زمن قياسي.

هناك الكثير من دول العالم التي التفّت حول زعاماتها السياسية، ولم تستطع أكبر دول العالم ان تهزم تلك القوى السياسية، وتلك الزعامات، لعل أحد الامثلة المشهورة هو (المهاتما غاندي)، الذي حرر الأمة الهندية، وواجه اعتى امبراطورية في حينه، بريطانيا العظمى لم تستطع ان تهزم غاندي بثورته المسالمة، واستطاع ان يحقق استقلالاً سلمياً للهند، حتى ان شيخ السياسة الغربية (ونستون تشرشل)، قال: (لا معنى لكلمة بريطانيا العظمى من دون الهند).

لماذا؟ لأن الامة الهندية التفت حول زعامتها، السلاح قد يقوى على سلاح آخر، إذا ما قيس بمعادلات الحديد، السلاح الآن يُقاس بقوة تفجيره، وبحجم تأثيره، وبعمق تدميره، لكن أمام الهمم العالية.. أمام القوى المعنوية لا معنى لقوة السلاح.

هذا درس نستوحيه من صاحب الذكرى، من الإمام الحسين (عليه السلام)، كيف انتصر بدمه على سيف الظالمين.. شعبنا هو الذي أضعف النظام المقبور، وقدم في هذا الطريق قرابين من حيث الكم قاربت المليون، ومن حيث النوع كان الشهداء خيرة ابناء شعبنا، تميزوا بعمق الايمان، وسعة الثقافة والمصداقية الوطنية، حتى عرفهم آباؤهم، وامهاتهم، وازواجهم، واولادهم بأنهم من أفضل خلق الله.

شهداء العراق ما بخلوا بدمائهم من اجل تقويض كيان الدكتاتورية التي انتهت.. لقد انتهى فصل الدكتاتورية وإن أخذ بعضاً من الوقت، ونحن نواجه خطراً جديداً، هو خطر الإرهاب، الذي يتحرك في قاعدة الإرهاب وثقافة الطائفية المقيتة، هذه الثقافة التي تحاول أن تصدع العلاقات التي ورثناها عن آبائنا، وأجدادنا عبر قرون من الزمن.

لقد كان يتعايش أبناء المذاهب إلى حد التصاهر بين السنة والشيعة، ولعب الإرهاب على حبل الاختلافات المذهبية ساعياً إلى تحويل التعايش المذهبي إلى نعرة طائفية، ومحاولاً كذلك إسقاط شبابنا، وشاباتنا في حبال غدره، لكنّ صخرة الصمود تكسّرت عليها كل هذه المحاولات.

الشعب العراقي مرة أخرى يلقّن الذين خططوا، ونفذوا هذا التآمر في الداخل العراقي والخارج العراقي درساً مفاده: أن محاولات يائسة كهذه، لايمكن ان تصدع، وتقطع جسور المحبة بين ابناء الشعب العراقي..

مضى على التجربة (التجربة السياسية العراقية بعد سقوط نظام صدام)، اليوم خمس سنوات ونيف، وشعبنا اليوم يجد نفسه امام مسؤولية الارتقاء بالتجربة، والاستمرار بها.

لا يكفي ان نصنع البداية، ونجيد فن البدء، ثم نتلكأ في المسير، انما علينا ان نتواصل.

ماذا يعني ان نتواصل؟ يعني، أن ننتقل من محطة إلى أخرى أرقى منها، ونقطع شوط البداية الى اشواط اكثر تقدماً.. لا معنى ان نتهيب، ونتردد في معركة الانتخابات اذا صح ان نسميها معركة، انها تنافس شريف، يستهدف إيصال الأكفأ، والأقوى، والآمن، والأجدر، والأكثر تضحية، والأكثر تحسساً بآلام الفقراء، والأكثر استيعاباً لنعم هذا البلد، والأكثر حرصاً على تدوير هذه الثروة من أجل رفع المستوى المعاشي لأبناء شعبنا، ووضع حد لمهزلة التراجع بمستوى الخدمات، والأمن، والسياسية، والاقتصاد والإعمار، وكل ظواهر التخلف التي قضّت مضاجع أبنائنا.

بريطانيا احتفلت عام 1995، بمناسبة مرور خمسين عاماً على عدم قطع التيار الكهربائي، أي: منذ أن انتهت الحرب العالمية الثانية عام 1945، خمسون سنة لم ينقطع التيار الكهربائي، ونحن (أي: في العراق)، في عصر الكهرباء ونعيش أزمة في الكهرباء، وكذا الحال في كثير من المجالات.

شعبنا العراقي يتمتع بأجلى مصاديق الحيوية، والشعب الحي لا يكتفي بالتشخيص، حيث يقول إن هناك تخلفاً، وتصدعاً في التجربة لايكتفي بذلك، بل يشمّر عن ساعد الجد، ويعزم على المضي بطريق الصعود نحو الإمام؛ حتى يحدث فرقاً نوعياً في كل موسم انتخابي، بين ما مضى من الوقت، والمقبل من الوقت.

ماذا يعني أن نقاطع الانتخابات؟ يعني أن نقاطع أبناءنا وبناتنا، الخيّرين والخيرات، ونترك الفرصة للضعاف والضعيفات في الاستمرار بمواقعهم، والذين أثبتوا منهم جدارة لهم في نفوسنا كل احترام وتقدير، وسيسجل لهم ابناء شعبنا هذه المواقف بأحرف من نور، لكننا بكل تأكيد نتطلع الى تحقيق الأفضل، والأكفأ، وشعبنا شعب معطاء ببناته، وأبنائه ويستطيع أن يحقق فروقاً رائعة.

الاقتحام والدخول في مبادرة العملية الانتخابية، معناه أن نقدم نماذج جديدة تكون أجدر من سابقتها في سبيل تحقيق ذلك.

إن مقاطعة الانتخابات تعني التسليم لبعض الضعاف بالاستمرار على ما هم عليه، نحن نقاطع الفساد، ونقاطع الفاسد، ولا نقاطع الانتخابات، ونصر على أن نوصل الأكفأ إلى حيث ينبغي أن يكون، ونهيئ بناتنا، وأبناءنا لأن يتسنموا المواقع، لذا فالمطلوب هو تحشيد الطاقات من أجل إنجاح أصل العملية الانتخابية، البلد الذي تزداد فيه مواسم الانتخابات، يختزل فيه زمن الصعود.. البلد الذي تتكرر فيه الانتخابات، تتقلص فيه عمليات الاستبداد والدكتاتورية.. البلد الذي يُحترَم فيه رأي الشعب، يُقطَع فيه الطريق على الانقلابات أياً كانت مباشرة، أو غير مباشرة.

إلى رجال القبائل والعشائر أتوجه، وأقول:

القبيلة وقفت مواقف تاريخية قبل الإسلام، وعند ظهور الإسلام، وبعد ظهور الإسلام، وقفت، وسجّلت تلك المواقف، على الرغم من أن البعض يعاني من عقدة تفسير التأريخ تفسيراً مادياً، فيجعل من القبيلة ظاهرة إقطاعية انتهت، وانطوت مع التاريخ، لكننا لا نعتقد ذلك.

نحن نميز بين الانتماء القبلي، وبين التعصّب القبلي.. نحن نميز بين التعايش والانسجام بين القبائل، وبين الخصومة والاقتتال بينها. القبيلة، والانتماء القبلي حقيقتان ذكرهما القرآن الكريم:

((يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ)).

ليست منة من أحد ان تُحترَم القبيلة، وتُقدّر، فهذا هو واقع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، كان ينتمي إلى قبيلة، وأهل البيت كذلك ينتمون إلى قبيلة، وكل الناس الخيّرين ينتمون إلى قبائل.

ما حصل مع مجيء الإسلام أن القيم التي تؤمن بها القبائل تغيرت؛ لذلك سرعان ما وجدنا القبيلة تنقسم على نفسها بناءً على صراع القِيَم، وصراع المبادئ، وأولى تلك القبائل كانت قريش، ما الذي جعل محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) محمداً، وما الذي جعل علياً (عليه السلام) علياً، وجعل أبا لهب وأبا جهل، أبا لهب وأبا جهل، فكلهم من قريش؟

ما الذي جعل البعيد القبلي قريباً من قلب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وما الذي جعل بعض القريب القبلي بعيداً عنه؟ إنها المبادئ والقيم، هكذا نفهم القبيلة، ننظر لها من خلال قيمنا ومبادئنا، حيث سنجد فيها فرصة لنشوء، وترعرع القيم والمبادئ التي تنمو في داخلها كالشجاعة، والكرم، والحرص على الوحدة، والذود عن البلد.

نحن لا نقر بعض العادات، والتقاليد التي علقت من الناحية العُرفية ببدن القبيلة، في يوم ما كانت القبيلة تستنكف من اسم المرأة، وكانت عقدة الفحولة قد استبدّت في أوساطها، أما اليوم فقد استطاعت القبيلة أن ترتقي إلى مستوى مبادئنا، وأن ترتقي إلى مستوى ما يريده القرآن الكريم، وفي بعض جوانبها استطاعت أن تسجل فرقاً في مجال التعامل مع بناتها.

شيخ القبيلة اليوم، فضلاً عن أبناء القبيلة، يعتزون أيما اعتزاز بابنائهم، وبناتهم على حد سواء، ليقدموا دليلاً على سلامة سلوكهم، وعلى روعة مواقفهم في بناء هذا البلد.. اليوم في العمل السياسي وقف أبناء، وبنات العشائر يذودون عن العراق.

منذ زمن الدكتاتورية المقبور لدينا أرقام عن الشهداء والشهيدات، والمهاجرين والمهاجرات، والمسجونين والمسجونات، من الذين تلوّت سياط السلطان الجائر على ظهورهم، ومثلما كانت المرأة جديرة، وبطلة، وشامخة في مرحلة المعارضة، في

مواجهة أعتى الدكتاتوريات، مسجلة ارقام الشهادة، والسجن، والتعذيب، والهجرة، والمطاردة ها هي اليوم تسجّل أرقاماً رائعة في مجال بناء المؤسسات الخدمية، والإنسانية المختلفة كالطب، والصناعة، والتجارة، والتعليم، والهندسة، والكمبيوتر، وفي المجال السياسي كذلك:

((وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ)).

القبيلة تفخر اليوم ان معيار القوة تبدّل؛ فأصبح مفهوم الشجاعة لابن القبيلة ليس بقدر ما يقتل، ولا بقدر ما يعتدي، ولا بقدر ما ينهب، بل بقدر ما يطبّق من مبادئ، وبقدر ما يكون شجاعاً مع نفسه؛ فيطوّع إرادته، ويطوّع سلوكه، ونفسيته، وانفعالاته لمبادئه وقيمه، وهذا هو مصداق قول الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم):

(ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد من يملك نفسه عند الغضب).

الانقسامات حصلت في كثير من القبائل، تميم على سبيل المثال، تميم جاءت كما تقول الرواية ومعها سبعة عشر رأساً من رؤوس أهل البيت (صلوات الله وسلامه عليهم)، لكن في الساحة، وفي التاريخ نفسه، نجد (الحر بن يزيد الرياحي)، الذي كان تميمياً.

هكذا وجدت قبيلة تميم نفسها على مسرح كربلاء أمام تنوع في داخلها، يعكس تنوع القيم وليس العكس.. إن تميماً التي حملت رؤوس أهل البيت، هي ذات تميم التي فدت أهل البيت بنفسها... شرف لها ذلك.

حتى قبل الاسلام، خزاعة هي الاخرى، عندما أبرمت اتفاقاً مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، كانت بعدُ لم تدخل في الإسلام، واتفقت في صلح الحديبية، وأبرم الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) اتفاقاً معها في مواجهة قريش، وأحلاف قريش، وعندما وقع رجال خزاعة ضحايا اعتداء قريش عليهم، صدح رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، بصوته الهادر:

(لا نصرني الله إن لم أنصر خزاعة).

القيم العربية التي نبعت من أعماق القبائل في زمن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، كان الرسول الاعظم يرعاها، حتى قال قوله الشريف:

(إنما بعثت لأتمّم مكارم الأخلاق وخياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام).

تلك التجارب التي رعاها الاسلام منذ ذلك الوقت، منذ اكثر من الف سنة، جعلت القبائل تنتصر للحق، وتلتقي لنصرة المظلوم.. الدول العظمى اليوم بكل ما أوتيت، وادّعت، وقدمت لنا من واجهات عريضة، وشعارات ضخمة، وأعني الجميع -الأمم المتحدة، ومجلس الأمن، ومنظمات حقوق الإنسان، وكذا الحال في عالمنا، في الشرق الأوسط، وجامعة الدول العربية، ومنظمة المؤتمر الإسلامي، أين هم الآن من غزة؟!

ما يحصل اليوم في غزة، يخدش الضمير.. يخدش الخلق الإنساني في عمق غزة، والقوم أصابهم الصمم، لقد سقطت الشعارات (شعارات حقوق الإنسان)، التي أتخمت بها الفضائيات.

الإنسان هو الإنسان، لماذا يُقتَل الطفل في غزة.. المرأة في غزة.. الشاب في غزة، حيث كل شيء في غزة مستباح، ما قيمة هذه المنظمات الدولية، اذا كانت تقف على محك هذا الاختبار الواضح والبشع الذي يقشعر منه الجلد، ويندى له الجبين خجلاً وحياءً، وهؤلاء سكوت، كأن شيئاً لم يكن؟

أ لم تتذكر أمريكا عندما مرت بمحنة احتلال بريطانيا لها، أ لم يقف الى جانبها فرنسا وإسبانيا، وإيطاليا؛ لمناصرتها على الاحتلال البريطاني، لماذا يُستباح اهل غزة بهذا الشكل البشع، وهم ساكتون!؟

لذا.. عندما نعقد مقارنة بين مجتمعنا ومجتمعهم، وقيمنا وقيمهم، ندرك جيداً الفرق الشاسع لهذه الثروة الإنسانية الرائعة، التي أودعها الامام الحسين (عليه السلام) في نفوس محبيه؛ لأنه لا يهادن ظالماً.

الحسين ما حارب إلا الظلم الذي يقع على الناس المظلومين؛ فأصبح عنواناً يتجاوز في زمنه زمن ثورة الإمام الحسين، وفي مكانه مسرح كربلاء.. مسرح ثورة الإمام الحسين. لا ينبغي ان نعقد الفرق بيننا وبين الآخرين من منظور صناعي، نعم... هذه الدول تصنع ما لا نستطيع أن نصنعه، هذا صحيح، ونحن نأمل، ونعمل من اجل ان نرتقي الى مستوى الصناعات الثقيلة، لكننا ينبغي ان ننتبه الى الثروة المعنوية الرائعة التي توافرت في اوساط امتنا، وفي اوساط شعبنا.

لقد كان حصاد القرن العشرين الحرب العالمية الاولى، والثانية، خمسة وستون مليون ضحية كانت من نتاجاتها، هاتان الحربان ما دخل مجتمعنا العربي والاسلامي فيهما حتى يوصف العرب، ويوصف المسلمون بأنهم إرهابيون، ما العلاقة!؟

أ كان هتلر عربياً، أو مسلماً؟... فلماذا سقط هتلر، وسقط موسوليني، ولم تسقط الكاثوليكية؟.. لان الناس فصلوا بين هؤلاء وبين دينهم، إذن لماذا يُحكَم ظلماً على أبناء أمتنا الاسلامية في كل مكان بأنهم إرهابيون؟!

الإسلام ضحية الإرهاب، لقد أنّ المسلمون أنيناً بالغاً عندما تعرضت دول العالم للإرهاب في واشنطن ونيويورك، مروراً بإسبانيا، وفرنسا، وبريطانيا، وشرم الشيخ في مصر، وكثير من دول العالم، لقد أنّ المسلمون أنيناً بالغاً، واستنكروا ذلك.

العراق بحاجة لأن نبذل قصارى جهدنا من أجل أن نرتقي به الى حيث ينبغي أن يكون، ليس قدرنا ان نعيش فقراء، لأن الله (تبارك وتعالى) خصنا بنعم كثيرة، أي نعمة من هذه النعم، وأي ثروة من هذه الثروات، لو خصت بأي بلد فيه مخلصون لارتقى ذلك البلد الى مصاف الدول المتقدمة، فكيف وقد اجتمعت كل هذه الخيرات في بلدنا.

إذن.. اين الحلقة المفقودة؟ بلد غني، بل إن لم يكن أغنى بلدان المنطقة فهو من أغناها على اقل تقدير، لماذا يكون الشعب فقيراً، وهو يعيش في بلد غني، لماذا تذهب الثروة (المياه)، التي تأتينا من جنوب تركيا لتمر مر الكرام، وتذهب الى الخليج، لماذا يخضع النفط الى اسعار التسويق، مرة يرتقي الى فوق المائة والخمسين، ثم يهبط الى الثلاثين، ويترك آثاره وبصماته على اقتصاد شكل قلق، لماذا يمشي العراق برجل عرجاء واحدة فيعتمد على النفط فقط.

آكثر من خمس وتسعين في المائة من ميزانية العراق تعتمد على النفط فقط، لماذا لا تتحرك مجالات الانتاج الاخرى، الصناعة، والتجارة، والزراعة، والسياحة، اليوم في صناعة السياحة كل دول العالم تتفنن، كيف تستقطب الزائرين، والسائحين، والمهتمين بالشأن التراثي، وعندما يكون في العراق هذا التراث الضخم دينياً، ومذهبياً، وتاريخياً وحضارياً، فيمكن ان يكون بورصة للسواح، ويمكن ان يدرّ ذلك بالملايين من الاموال.

اذا كانت ثروة النفط، ثروة متناقصة وهي كذلك، فإن ثروة السياحة والعتبات المقدسة، ثروة متصاعدة، اين الحلقة المفقودة، لابد من ان يكون هناك شيء يحول دون أن تتحول هذه الثروات؛ لتنعكس على مستوى المواطنين، وترفع من مستوى معيشتهم، وتنعكس على مستوى الخدمات.. الطرق، والجسور، والمدارس، والمرافق كافة في المجتمع، الانسانية منها، والخدمية، والتعليمية، فكلها تنتظر من يفجّر هذه الطاقات، ويُعيد بناء العراق، وبكل تأكيد انه صاعد لا محالة، لكن ينتظر من يستكمل هذا المسلسل.. مسلسل التنمية.

إن الحلقة المفقودة، هو الكادر التنفيذي الذي يضع الخطط التنموية، لذلك نحن عندما نعقد العزم على ان نخوض الانتخابات، ليس ذلك لأغراض شخصية - والعياذ بالله- نحن نبحث عن الأكفأ، وعن الذين يملكون خططاً تنموية، والذين يعزمون، ويصمّمون على السهر من أجل بلدهم.

لا يهمنا أية قائمة تفوز، ولا يهمنا اي رجل وأية امرأة تفوز، نحن نبحث عن الإنسان الأمين..الإنسان النزيه.. الإنسان الكفؤ.. الإنسان الذي يعيش حياته من أجل شعبه.. الإنسان الذي يستخدم كل ما لديه من طاقات من اجل خدمة شعبه.. الإنسان الذي لا يستخدم شعبه من أجل تحقيق مآربه؛ لذلك راعينا في مسألة الاختيار أفضل ما نستطيع، ممن اخترنا من بناتنا، وأبنائنا في كل المناطق، حتى يستقطبوا أبناء جمهورهم بثقة.

قمنا بذلك من اجل تجسير العلاقة بين تصدي المرشح، وبين الجمهور المنتخب، والذي يقوم على أساس الثقة المتبادلة بكفاءة، ونزاهة، وحرص، ودأب هذا المرشح، ولذلك وعد المرشح مسألة أساسية، فمن ينتخب، ينتخب الإنسان الذي يريد أن يبني العراق، ولديه كفاءة، وعنده برنامج.

ماذا افضت تجربة السنوات الخمس، وما يزيد على السنوات الخمس، ماذا أثبتت التجربة؟ عندما أثبتت التجربة عناصر القوة في الذين تصدّوا حالياً من أبنائنا، وبناتنا لمجالس المحافظات نجدد لهم بكل ثقة، وبكل محبة، حتى نستفيد من تجاربهم، ومن أثبت الواقع أنه ليس بتلك الدرجة من الكفاءة، فنحن نعتذر إليه لأننا نبحث عن الأكفاء، نحن نريد لمظاهر الفقر أن تختفي، ولا تختفي بالشعارات والخطابات فقط، بل تختفي بالخطط التنموية، وبالقضاء على الفساد بكل ألوانه كالفساد المالي، والفساد الإداري.

أنا أتفهم أن الإنسان يأخذ حصة من مال أبيه إذا مات أبوه، لكني لا أتفهم أن تتحول الوزارة، أو المديرية العامة، أو أية مؤسسة من مؤسسات الدولة كحصة لهذا الحزب، أو ذاك، فيعيّن من يشاء، ويُبرم عقوداً مع من يشاء، لماذا؟.... لأنها حصته، هذا ما لا أتفهمه.

أتفهم أن الوزارة تفتح أبوابها، وتجعلها مشرعة لكل أبناء العراق من دون تمييز بين عراقي وعراقي آخر، نعم، تميز على أساس الكفاءة والنزاهة، والاختصاص والدفاع عن البلد، وخدمة البلد.

من تثبت كفاءته أكثر، يتسنم موقعاً متقدماً، هذا الذي أتفهمه، فالبلاد لا تُبنى إلا بالكفاءات، والقدرات، والقابليات.. شعبنا لا يمكن أن يغضّ البصر عن مسار

السنوات الخمس، ويفتح بصره على الجدران حيث من يلصق صوره أكثر، أو يهتف أكثر، ليس الأمر كذلك، ربما كانت هذه في أول التجربة؛ لأن التجربة كانت في بدايتها، أما اليوم فسيجعل شعبنا التجربة ماثلة بين عينيه، يحدّق فيها، ويمعن النظر جيداً، سواء كان في هذا الموسم الانتخابي، او المواسم المقبلة.

يجب على كل الأحزاب، والتيارات، والتجمعات والقبائل، وأبناء المذاهب أن يجعلوا العراق أولاً؛ حتى نحقق الوحدة، فأن تكون عربياً، هذا شرف، مثلما شرف لك أن تكون كردياً، أو تركمانيا، لا يقولن لك أحد إنك تنزع قوميتك، على العكس من ذلك، لكن يجب أن لا يتحول الانتماء القومي إلى نزعة شوفينية عنصرية.

اثبت أنك ابن العراق أولاً، ثم إنك تنتمي إلى قوميتك؛ حتى ينعم العراقيون كلهم بخيرات العراق، وحتى تثبت أنك عندما تتصدى لموقع ما فأنت قد وضعت العراق في سلم أولوياتك، وأن المواطن العراقي من أية خلفية كانت، له حق عليك، مثلما تريد أن يؤدي واجبه ومسؤولياته، عليك أن تعطيه حقه.

لا يفكرنّ أحد أنه يختزل العراق في حزبه، أو في شخصيته، أو تياره، أو عشيرته، فالعراق أكبر من كل ما سبق، لكن بوسعك أن تتسع للعراقيين، يسعك اذا ما تمسكت بالقيم والمبادئ أن ترتقي إلى حجم الوطنية العراقية، وتنظر لكل العراقيين على أنهم أبناؤك، عندها ترتقي إلى المستوى العالي.

ماذا يعني أن نختزل المواقع في ذواتنا، لماذا نعطي الموقع قيمة من خلال من يحتل الموقع، فالموقع أكبر من المتصدي، والدستور والقانون أكبر من كل المتصدين، وأكبر حتى من المواقع.

البلد الذي يريد أن يرتقي الى مستوى التحضّر والدول المتقدمة، عليه أن يجعل الدستور قائماً.. وأن يكون في الدستور أخطاء، نعم فيه اخطاء، لكن يجب أن نطبّق الدستور، ويجب أن نعدل ونقوّم هذه الاخطاء، كل دول العالم التي سبقتنا في مضمار كتابة الدساتير، او التعاطي بالعرف الدستوري، وحتى التي لا يوجد فيها دستور مكتوب كبريطانيا، تراجع دساتيرها بين فترة وأخرى، وتغيّر تلك الدساتير.

الآن بعد رحلة طويلة، بعد مائتين وخمس وعشرين سنة، استطاع ان يصل (ملوّن)، في امريكا الى رئاسة الجمهورية، وحتى المرأة الى عام 1919 فقط في امريكا، مُنِحت حق التصويت، تتبدل الدساتير حتى يأخذ المواطن حقه، لذلك يجب أن تبقى عملية التغيير والإصلاح بشكل متصاعد ومتحرك، لا هوادة فيها.

إن الأمة التي لا تتحرك الى الامام تقف، واذا وقفت تموت، شعبنا لا يمكن ان يستسلم للحالة التي هو عليها، غاية ما في الامر هو ان لا يحمل السلاح، لانه ليس في معرض مواجهة الدكتاتورية، السلاح يُحمَل عندما تكون هناك دكتاتورية تربض على صدر الشعب، او يكون هناك احتلال يصر على ان يقف امام السيادة، رد الفعل الطبيعي لهاتين الحالتين هو المقاومة، اما عندما تكون هناك ديموقراطية وديموقراطية مفتوحة، تتيح الفرص للشعب ان يُدلي برأيه، ويمارس حق الرأي بالقلم، فلا معنى لأن نستبدل القلم بالبندقية.

ليست عقدة أن تحمل البندقية، عندما تحافظ على الأمن، وترفع المستوى المعاشي للمواطنين، وتختفي ظواهر التخلف، أنا أعتقد أن هذه سمات ومعالم رائعة، ومعالم نجاح في الصعود نحو المستقبل، وعقد المقارنة بيننا وبين الكثير من دول العالم التي الآن ارتقت، ليست صحيحة.

من غير الصحيح أن نقارن بين حاضرنا وحاضرهم، وإذا كان ولابد من المقارنة فلنقارن بين حاضرنا وماضيهم، بين بدايتنا وبدايتهم، وليس نهايتهم، لم تصل هذه الدول الى ما وصلت اليه بين عشية وضحاها، فقد قطعت طريقاً طويلاً، وعقوداً من الزمن، وضحايا وخاضت حروباً أهلية، حتى ارتقت الى ما ارتقت اليه، لكننا لا نريد ان نمر بتلك المحطات الدامية، ولذلك عندما نقرأ التأريخ نتمثل قول الله (تبارك وتعالى):

((لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى)).

نحن نقرأ تاريخ الآخرين لنتجنب ما وقعوا فيه من أخطاء؛ كي لا تحدث عندنا.. نقرأ تاريخ كل أمة من أمم العالم، كيف نهضت بواقعها، وكيف ارتقت، وسمت، ووصلت الى ما وصلت اليه.. نستفيد من نجاحاتها، ونستفيد من فشلها.. نختزل زمن الصعود، ونقلل من الجهد المبذول حتى نصل.

الانتخابات فرصة، فلنذهب للانتخابات ولدينا وعي حيث ننزع من عقولنا كل شيء، إلا شيئاً واحداً هو الوطنية العراقية.

الوطنية العراقية أولاً، والتنمية الاقتصادية أولاً، والخدمات أولاً، والأمن أولاً، ومصلحة البلد فوق كل شيء، عندئذ من علياء هذا الفهم، ننظر إلى أبنائنا وبناتنا في كل القوائم، من الذي يحمل هذه الاهداف، ومن الذي يستطيع من خلال هذه الاهداف ان يصعد بالعراق إلى الأعلى.

لقد رأيتم أن مراجعنا العظام ما تأخروا في إسناد عملية الانتخاب كمبدأ، أبوا أن يكونوا واجهة لأحد، حددوا أكثر من مرة موقفهم، كما أكد ذلك المرجع الديني الكبير، سماحة السيد السيستاني (حفظه الله): (إن المرجعية نقف على مسافة واحدة من الجميع).

في الوقت نفسه يؤكدون على ضرورة التعبئة الانتخابية، والإقدام على صناديق الاقتراع، حتى نتجاوز الأخطاء السابقة، والوقوع في الخطأ في أول الطريق مدعاة لأن نفكر في أن لا نكرر الأخطاء، وليس مدعاة لأن ننهزم؛ فتتكرس الأخطاء، ونقطع الطريق أمام الأكفاء من أولادنا وبناتنا، هذا لا يجوز، ماذا نقول لأبنائنا الذين عانقوا أعواد المشانق، من أجل تحرير العراق، هل نبخل عليهم بأصواتنا!؟

هل من المعقول أن الانسان الذي يصوت، لا يفكر وهو يصوّت بدم الشهيد سواء أ كان ابنه، أو بنته، أو جاره، أو ابن عمه، أو ابن عشيرته، ويفكر بدلاً عن ذلك بحفنة مال!! البعض يريد أن يشتري بعض الأصوات بالأموال !!

هؤلاء مشتبهون، العراق والشعب العراقي لو كان يرضخ لأحد لرضخ لدكتاتور متجبر امتدّ حكمه لخمس وثلاثين سنة، ومع ذلك لم يستسلم، لنعُد إلى ركب الشهداء، إلى مثقفينا، الى تراثنا، الى حاضرنا، الى ثرواتنا، ونفكر كيف نضع الثروات العراقية بيد أمينة، حتى يتسنم العراق موقعه بين امم العالم، ونعيش كما عاشت دول الجوار الجغرافي بميزانية أقل، وبثروات أقل، ولكن بمستوى معاشي أرقى وأعلى.

كلنا نتحمل المسؤولية، وليست المسؤولية على الحكومة فقط، بل يجب ان نفكر بعقلية الدولة.. يجب ان نفكر بعقلية الحكم وليس فقط الحكومة، الحكومة مؤسسة، اما الحكم والدولة فهما أبعد مداً.

كل المواطنين من دون استثناء، المعلم في مدرسته، والعامل في معمله، والفلاح في مزرعته، والراعي، والطبيب، والمهندس، والفنان الذي يحرك مشاعر الآخرين، ويأخذ على عاتقه تفجير حمم من المشاعر التي تصبّ في الصالح العام، فعلاً ومواجهة ضمن ردود الفعل ضد الإرهاب، كل هؤلاء يصنعون العراق الجديد..

نستفيد من هذه المناسبة - مناسبة استشهاد الامام الحسين - (صلوات الله وسلامه عليه)؛ حتى نجدد العزم قائلين: يا أبا عبد الله إن قولك: "الناس عبيد الدنيا والدين لعق على ألسنتهم، يحوطونه ما درت معائشهم فاذا مُحّصوا بالبلاء قلّ الديّانون".. يجب أن نردّد مع الحسين (عليه السلام) صوته أنه عندما نعلن لك أننا نأبى الذلة وننصرك، وعندما نقول: "ياليتنا كنا معك" لا نقول ذلك مجرد تمتمات ألفاظ إنما نعيش ذلك في داخل صدورنا لماذا لا نقول ذلك ونعيش ذلك، ما دام الآخر الديني قد

قال ذلك، والتزم به، مادام المهامتا غاندي وهو هندوسي عاش اهداف الحسين ومشاعر الحسين (عليه السلام)، وقال: "علمني الحسين كيف أكون مظلوماً فأنتصر"... أحيي وإياكم أبا عبد الله الحسين، وأقول: السلام على الحسين، وعلى علي بن الحسين، وعلى اولاد الحسين، وعلى أصحاب الحسين، وعهداً لأبي عبد الله الحسين أننا على طريقه ماضون، وأننا نردد وإياه ما قاله:

(مثلي لا يبايع مثله).

والسلام عليكم ورحمه الله وبركاته.

نحن نقدر أن تكون التجربة في بدايتها، وأن تتخللها بعض الأخطاء، لكن يجب أن نُعِدّ العُدة لنتجاوز الأخطاء، لكن أن نجعل من نقاط الضعف رحلة طويلة تمتد إلى المستقبل، من خلال الشعارات المزيّفة، وتكريس الأموال المسلوبة، هذا ما لا نسمح به على الإطلاق.

.....

لقد وصلت المحاصصة حداً مُخزياً إلى الدرجة التي يعتبر فيها بعض رموز المحاصصة أن المسؤولية غنيمة، فيبدأ البعض بتوزيع مفردات المسؤولية على الآخرين كأنها تركة ورثوها من آبائهم، فتنعكس حتى على العقود، ليعاني المواطنون من هذا المبدأ السيء، وتصل الحالة أحياناً إلى درجة أن البعض يعكس اهتماماته على منطقة لا لشيء، سوى أنها الأقرب إلى نفسه، والأقرب إلى قناعته.

.....

الوطنيون لهم صبر، سكتوا لكن سكوتهم ليس خنوعاً، وحلمهم ليس جبناً بل إن سكوتهم صراخ، وإن صمتهم لغة، يجب أن يفهمها الآخرون، وإذا جدّ الجدّ سيقدمون كل ما لديهم من أجل العراق؛ لان العراق أمانة في أعناقهم.

كلمة دولة الدكتور ابراهيم الجعفري خلال زيارته مدينة طويريج بتاريخ 2009/1/9

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة، وأتمّ السلام على أشرف الخلق أجمعين، سيد الأنبياء والمرسلين أبي القاسم محمد، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين..

السلام عليكم جميعاً ورحمة الله وبركاته..

قال الله (تبارك وتعالى)، في محكم كتابه العزيز:

((إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ إِنَّ اللّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ)).

هنا من مدينة (طويريج)، هذه المدينة التي ضمّتني فترة طويلة من الزمن، حيث عملت طبيباً في مستشفاها، وكنت أسكن في أحد أحيائها والمسمّى حي (ابو جوعانة)، عشت مع أهل هذه المدينة مع كبارهم، وشبابهم، وعايشت أطفالهم.. هذه المدينة عوّدتنا على ما اشتهرت به من دواوين العلم، والشعر، والأدب، والسياسة.

(طويريج)، كانت معطاء بدماء أبنائها، حيث طرّز هؤلاء أرض هذه المدينة في زمن الدكتاتورية، فقدمت خيرة أبنائها بأعداد كبيرة، وبأعمار مختلفة، السيد (هادي الموسوي)، والسيد (محمد حسين)، وسيد (صالح)، وسيد (مرتضى)، والأستاذ (حسين السيلاوي)، والأستاذ (عمران)، وقوائم كثيرة لا تحصيها ذاكرتي.

هذه المدينة دفعت ضريبة باهضة بسبب الظلم، ووقفت متأسية بسيد الشهداء مُصرّة على أن تواصل ركب العدل، لمواجهة الظلم والظالمين، وأشدّ ما يقضّ مضاجع الآمنين في مختلف مناطق العالم هو الظلم.

ليس اعتباطاً أن تكون صفة الله (تبارك وتعالى)، دون بقية صفاته أصلاً من أصول الدين، ألا وهو العدل، وليس اعتباطاً أن تكون صفة العدل أساسية في مَن يؤمنا للجماعة في مجال العبادة؛ ليتوسط المصلين بينهم وبين الله (تعالى)، وليس اعتباطاً أن الأعناق مشرئبة في كل مناطق العالم، وهي تتطلع إلى ظهور بقية الله في الأرض؛ لينشر العدل والقسط فيها، بعد أن انتشر الظلم والجور في كل منطقة من مناطقها.

لقد أكد الإسلام دون غيره على العدل، وقدّم العراقيون أبناءهم، وبناتهم ضحايا بسبب سلسلة الحكومات الظالمة التي تعاقبت على حكم العراق، من أجل أن يتخلصوا من ذلك الظلم، وليس اعتباطاً أن نعرف الحسين (عليه السلام) بكل ما تنسجم الصفات القيّمة في شخصيته في أنه مظلوم كربلاء، ليختزل لنا رسالته في نشر العدل، ويختزل لنا صفة أعدائه في أنهم ظالمون، وليودع فينا ملكة النهوض

بوجه كل ظالم مهما كانت هويته، ومهما كانت سطوته، حيث مازلنا نرفع أصواتنا، ونقدم أرواحنا على أكُفنا، حتى نواصل مسيرة الإمام الحسين (عليه السلام)، كلمة فوق الكلمات، وموقفاً ليس كبقية المواقف، من سجل انتصار الحق على الباطل، والعدل على الظلم.

إخواني وأخواتي، أبنائي وبناتي، العراق اليوم أمانة في أعناقكم؛ لذا أن نعيش التجربة في بدايتها، معنى ذلك أن التجربة يتخللها خطأ هنا، وخطأ هناك، ونحن فيما نعيش هذه التجارب نحاول أن نتجاوز تلك الأخطاء، لنعالجها بإرادة قوية، ونتخلص منها، لنودع الأمانة إلى الجيل القادم، والناهض من أبنائنا، وبناتنا حتى يأخذوا على عاتقهم مواصلة السير في درب الصعود المنشود لكل العراقيين، ويحققوا فرقاً في التنمية على كل الصعد، في الخدمات، والإعمار، واستصلاح الأراضي، والصناعة، والتجارة، والسياحة، وفي كل مجال من المجالات، حتى نضع حداً للمآسي التي أحاطت، وخيّمت على وجوه العراقيين.

يوم أمس، مررت ببعض أحياء كربلاء، وتحديداً الحي العسكري، فوجدت تناقضاً أيما تناقض، لا يستطيع الإنسان أن يتصوره، ولا تستطيع الكلمات أن تبلغ مداها بسبب ما تراه العين، وحقّ من قال: (ليس من رأى كمن سمعا).

في هذه المناطق التي زرتها أمس، كانت هناك كتلة هائلة من البشر، وبدلاً من أن تحوطها البنايات، ومقرات الخدمات، والمدارس، وكافة أسباب الحياة العصرية، كانت تحوطها النفايات، ويحوطها، ويخيّم عليها الحزن في كل زقاق من الأزقة، عشت يوم أمس أمسية في هذه المنطقة، ليست كبقية الأماسي، تركت المنطقة، ولم يبارحني، ولم تتركني تلك الصورة المأساوية.

نحن نقدر أن تكون التجربة في بدايتها، وأن تتخللها بعض الأخطاء، لكن يجب أن نـُعِدّ العُدة لنتجاوز الأخطاء، لكن أن نجعل من نقاط الضعف رحلة طويلة تمتد إلى المستقبل، من خلال الشعارات المزيّفة، وتكريس الأموال المسلوبة، هذا ما لا نسمح به على الإطلاق.

يجب أن نستفيد مما سبق، ونعتبر أن رحلة الانتخابات القادمة، هي رحلة التخلص من ظواهر الفساد، ليس لنا عقد عاطفي مع أحد، وحتى القائمة التي ارتبطت باسمنا (أي: قائمة تيار الإصلاح الوطني)، إن عقدنا هو عقد مع الوطنية العراقية بكامل حجمها... عقد مع كل مواطن عراقي مهما كانت خلفيته الدينية، أو المذهبية، أو القومية، أو السياسية.

نحن نريد عراقاً ناهضاً مع المستقبل.. نريد عراقاً راحلاً من الفقر إلى الغنى... من المرض إلى الصحة... من التخلف إلى التقدم... من الخراب إلى الإعمار... من التمزق إلى الوحدة... من المحاصصة التي ضربت في بدن البلد، وجعلت من دوائر الدولة ملكاً لهذا الحزب وذاك، إلى الوطنية العراقية.

لقد وصلت المحاصصة حداً مُخزياً إلى الدرجة التي يعتبر فيها بعض رموز المحاصصة أن المسؤولية غنيمة، فيبدأ البعض بتوزيع مفردات المسؤولية على الآخرين كأنها تركة ورثوها من آبائهم، فتنعكس حتى على العقود، ليعاني المواطنون من هذا المبدأ السيء، وتصل الحالة أحياناً إلى درجة أن البعض يعكس اهتماماته على منطقة لا لشيء، سوى أنها الأقرب إلى نفسه، والأقرب إلى قناعته.

العراق كله بذمة العراقيين كلهم من دون تمييز، لقد رأيتم قبل قليل صوت العمارة يهدر على منبر الهندية، ونحن نريد كذلك لصوت الناصرية أن يهدر على منبر الأنبار، وهذا هو العراق.

إن شعبنا يعي جيداً إلى حد الإحاطة أنه لا يمكن أن تبقى منطقة ما بمعزل عن المناطق الأخرى، كل أبناء العراق مسؤولون اليوم عن إحداث فرق أساسي، ونوعي في مستوى المعيشة، ومسؤولون عن مكافحة الفقر الذي خيّم على العراقيين كلهم، في بلد تتعدد فيه الخيرات... في بلد تتعدد فيه الإمكانيات... في بلد امتدّ أبناؤه من موقع اختصاصاتهم المختلفة إلى مختلف مناطق العالم فمنهم المهندسون، والأطباء، والتجار، وأصحاب رؤوس الأموال، ورجال الأعمال في مختلف مناطق العالم، ينتشرون ونحن والعراق بأمسّ الحاجة لهم.

حان الوقت لكل هذه الأحزاب، والتيارات، والقوى أن تراجع نفسها، لا أن تستمر على واقعها البائس لتكون قدر العراق، كانت في يوم ما قدراً في العراق، والآن يجب أن تراجع نفسها، حيث تكبر على المحن، وترتقي إلى مستوى الطموحات المشروعة.

قدر العراق هو من يرتقي إلى حجم الوطنية العراقية... قدر العراق هو الذي لا يفرق بين طفل وطفل، وشاب وشاب، وكهل وكهل، وامرأة وامرأة... قدر العراق ذلك الذي يئن لأنين كل أرملة، وكل ثكلى، وكل يتيم، وكل مريض.

ثقافة الوطنية هي الثقافة المطلوبة، أما أن تكرّس مثل هذه المناسبات (مناسبات الانتخابات)، لعملية تزوير الحقائق، وتتحول الجزئية الشاذة، إلى خط الشذوذ للمستقبل، هذا ما لا يقبله العراقيون، ولو كانوا قد قبلوه سابقاً لكانوا رضخوا لأعتى دكتاتورية امتدّت لثلاثة عقود ونصف.

لـم يرضـخ العراقيـون للظلـم، وسـاحة (طـويريج)، إحـدى الـساحات التـي شـهدت المواجهة في سوح الوغى، والنضال ضد تلك الحالة، هذا المجتمع مجتمع (الهندية)، الذي عُرِف بثقافته... عُرِف بدواوينه... عُرِف برجاله ونسائه... عُرف بغيرته، ما رضخ لتلك الدكتاتورية.

المطلوب أن ننظر إلى كل الذين سبقونا بالتجربة من أعضاء مجالس المحافظات، من السادة والسيدات، من أبنائنا وبناتنا، لا غبار على ذلك، بل نقف من موقع التكريم والاعتزاز إلى كل من سجلوا، وارتقوا في الأمانة، ولكننا نعتذر أمام كل من لم يكن بمستوى تلك المسؤولية، ليتجاوز شعبنا هذه المرحلة إلى مرحلة أرقى.

لسنا في صراع بسبب الانتخابات، ولسنا في حرب بسبب الانتخابات، لماذا؟

لأن المرشحين كلهم أبناؤنا، والمرشحات كلهن بناتنا، نحن أمام تنافس شريف، تنافس قرآني:

((خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ)).

من يستطع أن يبني أكثر، ومن يستطع أن ينهض بمستوى التعليم بشكل أرقى وأفضل، ومن يستطع أن يحل مشاكل بلدته في هذا المجال، وفي ذلك المجال يفوز، لا ينبغي أن نشعر بحالة من الغيض عندما نجد أن قوائم أخرى غير قوائمنا، تحتضن عناصر كفوءة.

إن فوزنا ليس فقط بكمّ الأفراد من هذه القائمة، أو تلك، إنما فوزنا هو أن نوصل حملة الأمانة إلى حيث يجب أن يكونوا.. لا يمكن أن يُبنى البلد من دون كفاءة.. لا يمكن أن نرتقي بالبلد ما لم نتخلص من ظواهر الفساد.

إن ظواهر الفساد لا تُعالج بالشعارات، بل إن هذه الظواهر التي امتدت عبر سنوات مضت، تحتاج إلى برنامج عمل.. تحتاج إلى منهج وتشخيص.. تحتاج إلى خطط، وأهداف، وآليات.. تحتاج إلى رجال، ونساء يأخذون على عاتقهم عقد العزيمة الحقيقة للرحلة، من الفساد إلى الإصلاح، لكن ذلك ليس بالشعارات.

لا ينبغي أن يتصور البعض أن شعبنا يمكن أن يُخدَع بجولة إعلامية، فالإعلام الخيّر هو الذي يعبّر عن الواقع من دون أن يزيف الواقع، والكلمة عندما تنطلق من واقع، تستهدف الاستمرار بذلك الواقع بصدق وشرف، ذلك هو الإعلام، وتلك هي الكلمة القيّمة.

الكلمة، التي تنبت في بذرة المجتمع لتؤتي ثمارها بعد حين:

((أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاء * تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ)).

عوائل الشهداء تنتظر، لقد قدم العراقيون قوافل للشهداء، وصلوا قرابة المليون من خيرة خلق الله، ومن مستويات نوعية، والإنسان يتمزق عندما يذكر الطرق التي تم بها القضاء عليهم، لم يصنع برابرة التاريخ كما صنع النظام المقبور بحق أبنائنا، وبناتنا، الذين ذهبوا وجادت أكفهم بأعزّ ما لديهم، لقد جادوا بأرواحهم:

يجود بالنفس إن ظن الجواد بها

والجود بالنفس أقصى غاية الجود

هؤلاء الشهداء تركوا لنا أراملهم، وأبناءهم، وآباءهم، وأمهاتهم، لكن ماذا قدمنا لذويهم حتى الآن؟!.

أمم العالم اليوم تغوص بالتاريخ، وتحاول أن تنتحل شخصية من شخصيات الشهداء، لتعتبر يوم موته عيداً وطنياً، منذ عام 1429 فرنسا فقدت شابة اسمها (جان دارك)، في قرية (أورليان) ومنذ أكثر من نحو ستمائة سنة إلى اليوم، صار يوم موتها عيداً وطنياً في فرنسا، وكانت حين ماتت عذراء.

لدينا في كل بيت شهيد، وفي بعض الأحيان هناك أكثر من شهيد، منذ أن وصلت إلى بغداد (أي: عودة الدكتور الجعفري بعد سقوط النظام المقبور إلى أرض الوطن)، بعد رحلة دامت ثلاثاً وعشرين سنة وشهرين وواحداً وعشرين يوماً، كنت أحمل في جعبتي من جملة ما أحمل عبر تلك الرحلة البعيدة جغرافياً، والقريبة مجتمعياً، ونفسياً، وسياسياً، ومبدئياً مع العراق، حيث تركت كل شيء للعراق بما فيه اختصاصي (الطب)، كنت أحمل مشروع إعالة ذوي الشهداء، طرحته قبل أن يتشكل مجلس الحكم، وطرحته في اليوم الثاني من تشكيل مجلس الحكم، وبقيت أتواصل، وأتابع، وكانت العقبات أمامنا من هذا الطرف، ومن ذاك الطرف كثيرة، إلى أن وصل القانون إلى مستوى التشريع.

لكن لاتزال القوافل من الجماهير من أبنائنا، وبناتنا من عوائل الشهداء يبثون همومهم، فتنعكس عليّ آلامهم، وانفعالاتهم وهم يتطلعون إلى الإنصاف.. إن الأمة الحية هي تلك الأمة التي تحترم شهداءها، وتفي لشهدائها، لأن لا شيء أغلى من النفس، والشهداء لم يبخلوا بدمائهم، لذلك ينبغي أن تزدان أزقة مدننا بأسمائهم؛ حتى يتحوّلوا إلى أجراس تدقّ في عالم النسيان.

لا ينبغي أن يُنسى الشهيد، فبيوت الشهداء مصانع، يجب أن لا ننظر للشهيد فقط على أنه نقطة مقطوعة الجذور عن سابقاتها، أو أنها مقطوعة التواصل مع بقية النقاط، فالبيت الذي ينتمي له الشهيد مصنع، يجب أن نسأل آباء الشهداء، وأمهاتهم عن: كيف صنعوا شخصية الشهيد؟..... كيف صنعوا من تأسى بسيد الشهداء (عليه السلام)، الشهيد وقف يخيّر بين الدنيا بكل بهارجها، وبين أن يعانق عود المشنقة، فآثر الثانية على الأولى.

ما هذا الأب، وهذه الأم التي صنعت هذا الشهيد، عندئذ سنتصاغر أمام هؤلاء الشهداء؛ لأننا أمام مدرسة، فالشهيد حلقة وصل بين البيت الذي أنتج الشهيد، والبيت الذي ينتجه الشهيد نفسه من خلال أولاده، وبناته حيث بنى منظومة قيم، وأفكار، ومبادئ استلهمها الشهيد من أمه وأبيه، حتى وصل إلى ما وصل.

هؤلاء الشهداء رحلوا وخلفوا لنا أمانة، ظلت الجهود مكثفة من خلال القوى الخيرة المتعددة، مع هذا العدد الكبير من الشهداء، والتركات الثقيلة التي خلفوها لإعطاء بعض الحقوق لذوي الشهداء.

في مواسم الانتخابات القادمة، نفترض من خلال وعي جماهيرنا، أن ذهابهم إلى صناديق الاقتراع ليس تقليداً، وليست هبة لأحد، وليست عاطفة زائلة، أو هوى في النفس، بل إنها المسؤولية بعينها:

((وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ)).

يقف الناخب ليدقق النظر جيداً، من هذا الذي يستطيع بكفاءته أن يحقق أكثر من غيره رجلاً، كان أو امرأة، من هذا النزيه الذي تآبى عليه مروءته أن يوظف ثروة البلد لصالحه، وهنا نتمنى على كل القوى الخيرة أن تنجح عندما تكون على المحك، وأن تتسع لكل الآخرين، خصوصاً عندما تتسنم مواقع المسؤولية.

نحن آباء الآخرين، ونحن إخوانهم الكبار، ونحن نتسع للآخرين، ونحن لا نعادي الذين يختلفون معنا:

((وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا)).

وعدد الطرق إلى الله (تبارك وتعالى)، على قدر أنفاس الخلائق.

الديمقراطيات في الغرب تعاني من أزمة أخلاقية، ومع ذلك استطاعت أن تنتقل، وتتطور، وتستفيد من بعض القيم، في مواسم الانتخابات يدخل الغربيون في سجالات طويلة، لكن بعد أن ينتهي كل شيء يبارك أحدهم للآخر.

نحن في العراق لسنا في معركة، ولسنا في صراع، لكن ماذا تعني الانتهاكات التي تحصل في أجواء الانتخابات، لسنا قلقين من هذا، والقائمة التي تسقط بسقوط الصورة (أي: دعايتها الانتخابية)، لا خير فيها، والذي تأتي به الصورة، ستأتي بغيره من يملك عشر صور.

ينبغي أن نبدي حرصنا على سير الانتخابات، حتى لا تتعرض للتزوير، والتزوير لا يتسبّب بخسارة شخصية لهذا الطرف وذلك الطرف، بل يتسبّب بخسارة وطنية، فحين يُؤتى بغير الكفوء، ويُوضع في غير محله، يقلقنا الوطن والوطنية، والشعب العراقي بكل مركباته من دون فرق، فليفُز من هو جدير به، وسنطبع قبلاتنا على جبينه، بل على يديه، وليكن من أية قائمة كانت.

أذكّر نفسي، وإخواني وأخواتي، بأننا عندما ننطلق إلى سوح الانتخابات علينا أن نضع الوطنية الكبرى فوق كل شيء، متى نضع حداً لظواهر الحزن التي ارتسمت على شفاه الثكالى، والأرامل، والأيتام، ونعيد الابتسامة المسروقة، ونجعل مدننا تضحك.

أنا أدرك أن هذا ليس فقط من اختصاص الحكومة، الحكومة مؤسسة من مؤسسات الدولة، تتحمل بعض المسؤولية، ولكن على المواطنين كلهم أن يتحملوا المسؤولية كذلك، وأن يحققوا فرقاً نوعياً في الأداء من خلال مواسم الانتخابات التي تحصل، كيف نرتقي بعملية الإعمار والتنمية، نحن لسنا في زمن المعارضة، نحن نتأسى بالحسين (عليه السلام)، عندما كان معارضاً، ومستعدين أن نعطي دماءنا كما أعطى الإمام الحسين أزكى دم في سبيل الله حين كان معارضاً.

لكن الحسين (عليه السلام) أراد أن يشيّد صرح الإصلاح.. أراد أن يبني دولة، صحيح أن يزيد صرعه، لكنه (عليه السلام)، بقيمه، ومبادئه، صرع مبادئ الدولة الأموية وقيمها، فهدّها على عروشها.

يجب أن نعيش اليوم بناء دولة مبادئ الحسين.. يجب أن نحقق الإصلاح:

(إني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، إنما خرجت لطلب الإصلاح).

يريد أن يصلح.. يريد أن يهزم الفساد، لقد حارب الفقر.. حارب كل شيء، ولم يرضخ، خاطب الأقربين، وخاطب الأبعدين، لذلك ما إن مر ركبه المبارك بـ (زهير بن القين)، حتى حوّله من الركب السفياني إلى الركب الحسيني، وإذا كانت مشيئة القدر أن يكون (الحر) من أكثر من اذى الحسين؛ لأن الحر استلم رسالة من (عمر بن سعد) تقول: أن يا حر جعجع به، أي: جعجع بالحسين، لكن الخطاب الحسيني

الرائع، والواثق، والمنطلق من عمق القلب، نفذ إلى عمق قلب الحر، وحوّله من الأكثر عدوانية، إلى جندي يُقتل بين يدي الحسين (عليه السلام).

هذه عقلية البناء، والإعمار، والتنمية، وإذا كان الإمام الحسين في سوح الوغى، وفي معركة مصيرية يمارس دوره في البناء، ويخاطب الآخرين من أجل بناء نفوسهم، لماذا نحن لا نفكر في بناء نفوس الآخرين، لماذا لا تشهد مواسم الانتخابات مواسم البناء على مستوى النفس، والفكر، والثقافة حتى تنعكس على بناء البلد؟

هل يُبنى البلد من خلال الاغتيالات المعنوية التي يمارسها بعضنا على البعض الآخر، هل يُبنى من خلال التشويه، ومن خلال تزوير الحقائق، ومن خلال الإعلام المزيّف؟!

ليست هذه طريقة الإسلام الذي أنصف حتى أعداءه، وليست هذه قيمنا ومبادؤنا.

أتمنى أن تشهد مواسم الانتخابات مظاهرة نوعية، يقف فيها أبناء شعبنا من الرجال والنساء، وكل المكلفين من الذين يحق لهم التصويت؛ ليرسموا عراق الغد، وليُحدِثوا فرقاً بين الغد المرتقب، وبين الأمس بكل ما مر به من مآسٍ وأحزان، لابد من أن نشترك في الانتخابات، ونعبّئ، ونحشّد كل طاقاتنا.

ماذا يعني أن ننسحب من الانتخابات؟ هناك غرف مظلمة تخطط لإشاعة ثقافة الانسحاب من الانتخابات، لأنه ليس من مصلحتها أن يصل الخيّرون، والخيرات من أمثالكم إلى مواقع المسؤولية.

ماذا تعني محاربة الفساد؟... ليس فلماً تلفزيونياً، الفساد ليس صورة على جدار.. الفساد مصالح، وواردات، وكارتيلات، وعقود، وأموال.. الفساد مرتبط بالفاسدين وهؤلاء سينبرون لكم، وسيتهمونكم، ولذلك ماخلت مسيرة المصلحين من التحديات، وكثير من المصلحين خرّوا صرعى.

الوطنيون لهم صبر، سكتوا لكن سكوتهم ليس خنوعاً، وحلمهم ليس جبناً بل إن سكوتهم صراخ، وإن صمتهم لغة، يجب أن يفهمها الآخرون، وإذا جدّ الجدّ سيقدمون كل ما لديهم من أجل العراق؛ لان العراق أمانة في أعناقهم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.